العلاقة بين علم التَّجويد وعلم الأصوات
(الغنَّة وبعض أحكامها أنموذجاً)

بقلم الدكتورة

سارة صالح عمر بادحدح

أستاذ النحو والصرف المساعد ـ قسم المواد العامة ـ كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ جامعة الملك عبدالعزيز ـ المملكة العربية السعودية

المجلد السادس والعشرون للعام ٢٠٢٢م
الجزء الثالث (إصدار يونيو)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

العلاقة بين علم التَّجويد وعلم الأصوات (الغنَّة وبعض أحكامها أنموذجاً)

سارة صالح عمر بادحدح

قسم اللغة العربية ـ كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ جامعة الملك عبدالعزيز ـ المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني : Sbadahdah@kau.edu.sa

الملخَّص

تناولت هذه الدِّراسة تعريف التَّجويد لغةً واصطلاحًا، وبيان أهميّته وفضله، وقدّمت نبذة موجزة عن تاريخ علم التَّجويد والتَّأليف فيه، وأشارت إلى علاقته بعلم الأصوات. ثم الوقوف على الجانب الصَّوتي في علم التَّجويد؛ من خلال توضيح الفكرة التي تستند إليها الدِّراسة الصَّوتيَّة عند علماء التَّجويد، وبيان أن منهج علماء التَّجويد منهج شامل؛ لتناوله جميع المباحث المتعلِّقة بعلم الأصوات النّطقي، إضافة إلى أنّه منهج صوتي خالص لم يحصل للدّراسة الصّوتيّة فيه الاختلاط بما عداها من الموضوعات. ثم الوقوف على الغنّة وبعض أحكامها من النّاحية الصّوتيّة؛ وذلك من خلال ذكر تعريفها لغةً واصطلاحًا، وبيان كيفيَّة نطقها ومخرجها ومقدارها وحروفها ومراتبها، ثم الحديث عن بعض أحكام النُّون والتَّنوين، وبيان حالات النُّون السَّاكنة والتَّنوين حال اتصالهما بأيّ صوت من الأصوات العربيَّة، وهي لا تخرج عن ثلاث حالات، هي: عدم التأثير أو التأثُّر؛ وذلك في حالة إردافها بأحد حروف الإظهار الستة، والتأثير بالكامل، حيث تدغم بالكلِّية في الحرف التالي لها دون أن يبقى أثر من صفاتها؛ وذلك في حالة الإدغام بغنَّة، والتأثير الناقص، حيث تدغم جزئيًّا في الحرف التالي لها مع بقاء صفة الغنَّة، وذلك في حالات الإخفاء والإقلاب والإدغام بغنَّة. وتوصَّلت الدِّراسة أيضًا إلى أنّ التّأليف في علم القراءات كان ممهِّدًا لجمع مسائل التَّجويد في كتب مستقلَّة. وأنّ هناك ارتباطًا بين علم الأصوات وعلم التَّجويد؛ ويظهر ذلك الارتباط

في كون علم الأصوات يقوم بدراسة الصَّوت اللُّغوي بصفة عامَّة، أمَّا التَّجويد فإنَّه يختص بالصَّوت القرآني فقط، كما أنّه مختص بالنّواحي الأدائيّة، بخلاف علم الأصوات الذي يتناول الأداء وغيره، وهكذا يلاحظ أنّ علم الأصوات أعم وأشمل من علم التَّجويد. وقد كانت ملاحظة اللَّحن الخفي في قراءة القرآن ومحاولة معالجتها، وتصحيح النُّطق بها؛ السَّبب الذي يقف وراء الدِّراسات الصَّوتيّة عند علماء التَّجويد؛ ولتحقيق ذلك درسوا أصوات اللُّغة وحدَّدوا صور نطقها الصَّحيحة، ورصدوا الانحرافات المتوقَّعة في نطقها ممَّا سمُّوه باللَّحن الخفي؛ ليحترز النَّاطق منها ويجتنبها. ويمكن القول بأن ما ذكره علماء الأصوات في العصر الحديث، قد سبقهم إليه علماء التَّجويد، ولعلَّ الفرق بينهما يكمن في صياغة العبارة واستخدام المصطلحات. وعليه، فإنَّ ما وصفه علماء التَّجويد في كتبهم لشرح قواعد التَّجويد، ما هو إلَّا دراسات صوتيَّة ولكنَّها مقتصرة على الأداء القرآني فحسب، وما هذه الأحكام إلَّا لتسهيل النُّطق، والتَّناسب بين الأصوات.

الكلمات المفتاحيّة: علم التَّجويد ، علم الأصوات ، أحكام الغنَّة .

The relationship between the science of intonation and the science of phonetics (singing and some of its provisions as a model)

Sarah Saleh Omar Badahdah
Department of General Studies, College of Arts and Humanities, King Abdulaziz University, Kingdom of Saudi Arabia
Email: Sbadahdah@kau.edu.sa

Abstract

This study aims to define intonation in both senses of linguistics and terminology; and further demonstrated its significance together with an overview about the history of intonation (Tajweed) and composition. It aims also to indicate its relationship to phonetics. Then, the study tackled the vocal side in intonation by clarifying the idea on which the phonemic study is based among scholars of intonation. It further shows that the approach of the scholars of intonation (Tajweed) is deemed an all-out comprehensive approach for tackling all topics related to phonetics, in addition to a pure acoustic approach that does not involve mixture with other topics. Afterwards, the study shed light on 'Stress' and some of its phonetic provisions thru mentioning its definition in language and terminology and showing how it is pronounced and its output, amount, letters and grades. The study further shed light on some of the 'Stress' provisions of 'Nooun' and 'Tanween' and an explanation of the respective cases. It also shed light on the consonant and the 'stress' (also known as tanween) when they are connected to any of the Arabic sounds. They are confined to three cases as follows: Not being influenced or affected in the event that it is accompanied by one of the six letters of manifestation and the effect is completely, as it is combined completely into the letter following it without any trace of its attributes remaining. Such is made in case of phonetic squeezing and deficient effect. It is partially merged into the letter following it, while the adjective of 'stress' remains in cases of concealment, inversion and inclusion. The study concluded that composition in recitations paved the way for collecting intonation issues in separate books. It further

detected a link between phonology and intonation – a link that appears in phonology for being concerned with the phonetics in general. Nonetheless, intonation is mainly concerned with the Quranic phonetics only – not to mention the performance-related aspects – contrary to phonetics which is concerned with performance and the like.

Noticeably, phonology is more general and comprehensive when compared to intonation. It was noted that the concealed melody in reading the Qur'an, trying to treat and correct its pronunciation was the reason behind the phonetic studies among scholars of intonation. To this aim, the scholars studied the linguistic sounds and their correct pronunciation patterns; monitored the expected deviations in pronunciation, which they called 'hidden melody' so as to caution the speaker to avoid. Perhaps, the crucial difference lies within drafting and use of terms. Accordingly, what have been depicted by the scholars, in their book to explain the rules of intonation, is nothing but phonetic studies. Yet, such phonetic studies are only confined to the Quranic performance. So, such provisions and rulings are merely concerned with facilitating pronunciation and proportionality between sounds.

Keywords: the science of intonation, the science of phonetics, the rules of chanting .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم، والحمد لله ربّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبيّنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعد، فإنَّه معلوم لكلِّ ذي لب أنَّ اللُّغة العربيَّة نالت مكانتها ومنزلتها عند نزول القرآن بها، وكل العلوم التي تناولت القرآن واتصلت بدراسته كان لها الشَّرف والمنزلة الرَّفيعة بسبب اتصالها بالقرآن. ومن وبين هذه العلوم الجليلة علم التَّجويد، فهو علم مختص بالقرآن، وغايته صون الألسنة عن الوقوع في اللَّحن والخطأ أثناء تلاوة القرآن الكريم.

وفي هذا البحث، حاولت الباحثة الوقوف على العلاقة القائمة بين علم التَّجويد وعلم الأصوات، واتخذت الغنَّة أنموذجًا للتَّطبيق وتوضيح تلك العلاقة، ولعل الوقوف على الغنَّة وبعض أحكامها وبيان العلاقة بين العلمين في هذا الجانب هو ما هدفت الباحثة إلى إيضاحه وبيانه؛ إذ لم تجد دراسة – فيما اطلعت عليه– أفردت الغنَّة بالحديث عن تلك العلاقة.

مشكلة البحث

تتمثَّل مشكلة البحث في محاولة بيان العلاقة بين علمي التَّجويد والأصوات من خلال الوقوف على الغنَّة وبعض أحكامها، والنَّظر فيما ذكره كلّ من علماء الأصوات والتَّجويد في ذلك.

فروض البحث

حاولت هذه الدراسة الإجابة عن عدد من الأسئلة، هي:

- متى استقل علم التَّجويد بمصنَّفات خاصَّة، وما هي؟
- ما العلاقة بين علم التَّجويد وعلم الأصوات؟
- ما الفكرة التي تستند إليها الدِّراسة الصّوتيّة عند علماء التَّجويد؟
- ما سمات منهج علماء التَّجويد؟
- ما العلاقة بين علم التَّجويد والأصوات من خلال الوقوف على الغنَّة وبعض أحكامها؟

أهمِيَّة البحث

- الوقوف على الدِّراسات الصَّوتيَّة عند علماء التَّجويد.
- بيان العلاقة بين العلمين من خلال الوقوف على الغنَّة وبعض أحكامها.

منهج البحث وخطوات تطبيقه

قامت دراسة الباحثة على المنهج الوصفي المقارن، وذلك من خلال محاولة بيان منهج علماء التَّجويد وشموليته في تناول الدِّراسات الصَّوتيَّة، ورصد ما ذكره علماء التَّجويد في هذا الجانب، والمقارنة بين ما ذكروه وما ذكره علماء الأصوات. ومحاولة الوقوف على بعض أحكام الغنَّة، وبيان ما ذكره علماء التَّجويد والأصوات في هذه الأحكام، وبيان بعض الفروقات بين ما ذكره كلّ فريق.

الدِّراسات السَّابقة

يمكن تقسيم الدِّراسات السَّابقة –حسب ما اطلعت عليه الباحثة– إلى قسمين:

قسم يتحدَّث عن الدِّراسات الصَّوتيَّة والتَّجويد دون تحديد جانب أو كتاب معيَّن، ومن ذلك:

- الدِّراسات الصَّوتيَّة عند علماء التَّجويد، للدكتور: الحمد، غانم قدوري، ط٢: (عمان: دار عمار: ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م):

قسم الكاتب البحث إلى ثلاثة فصول، درس في الفصل الأول (الدراسة الصوتية عند علماء التجويد) فجاء هذا الفصل في خمسة مباحث، تحدَّث في المبحث الأول عن نشأة علم التَّجويد وبدء التأليف فيه. وقدّم في المبحث الثاني قائمة أشهر كتب هذا العلم، منذ بدء التأليف فيه إلى أواخر القرن الثالث عشر الهجري. وبيَّن في المبحث الثالث الفكرة التي تستند إليها الدراسة الصوتية عند علماء التَّجويد، وهي تدور حول اجتناب اللَّحن الخفي. ووقف في المبحث الرابع عند منهج علماء التَّجويد في دراسة الأصوات اللُّغويَّة ومميّزات ذلك المنهج، وختم الفصل بمبحث عن صلة علم التَّجويد بعلوم القرآن وعلم اللُّغة.

ثم تناول في الفصل الثاني (دراسة الأصوات العربية عند علماء التجويد مفردة) وقسمه إلى ستة مباحث، وتحدث في الفصل الأول عن وصف علماء التجويد لأعضاء آلة النطق، وفي الثاني عن إنتاج الأصوات اللغوية، وفي الثالث عن تقسيم الأصوات إلى جامدة (صامتة) وذائبة (مصوتة)، ووضح في الفصل الرابع كيفية تقسيم الأصوات الجامدة بحسب المخارج، وفي الخامس كيفية تقسيمها بحسب الصفات. وتحدث في المبحث السادس عن الأصوات الذائبة (حروف المد والحركات).

وفي الفصل الثالث تناول دراسة الأصوات العربية عند علماء التجويد متصلة، وذلك في ثلاثة مباحث، تحدث في الأول عن فكرة التأثر بين الأصوات في الكلام المتصل، وبين موقف علماء التجويد من هذه القضية. وخصص المبحث الثاني لدراسة الظواهر الصوتية التأثرية الخاصة بالأصوات الجامدة. وفي الثالث تحدث عن الظواهر الصوتية التأثرية الخاصة بالأصوات الذائبة. وقد كان من بين الموضوعات التي تناولها في هذا الفصل دراسة الأحكام التي تناولتها الباحثة، وقد استفادت مما ذكره، وربما يكون اقتصار الباحثة على جزء محدد من هذه الأحكام وعرضه بإيجاز واختصار هو المختلف عن هذه الدراسة.

- الدِّراسات الصَّوتيَّة الحديثة وعلم التَّجويد، الجمل، محمَّد أحمد (جامعة آل البيت، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مج:٧،ع:١، ص٣٧-٥١):

ينعقد هذا البحث لدراسة جوانب العلاقة بين علم الصوتيات الحديث وعلم التجويد، ذلك أن بعض الباحثين المعاصرين المهتمين بالدراسات الصوتية الحديثة، أرادوا أن يحكموا نتائج دراساتهم واجتهاداتهم في مباحث علم التجويد النظرية والتطبيقية، وأن يعدلوا على هذه المباحث في جانبيها الوصفي والأدائي على السواء، وترتب على ذلك تخطئة علماء التجويد السابقين في كثير مما قرَّروه من مباحث علم التجويد، وفيما تلقوه بالمشافهة كابرًا عن كابر. فما مدى دقة وقيمة هذه الدراسات الصوتية الحديثة من حيث تناولها لأحكام التجويد وتقييمها لمنجزات علماء التجويد، وما الضوابط التي ينبغي أن تؤخذ بعين الاعتبار عند دراسة علم التجويد، وما حدود الاستفادة من علم الصوتيات الحديث في خدمة هذا العلم؟

وجاءت هذه الدراسة في مبحثين وخمسة مطالب؛ للإجابة عن هذه التساؤلات على النحو التالي :المبحث الأول: علم التجويد: نشأته الصوتية واستقلاله، المطلب الأول: نشأة علم التجويد نشأة صوتية. المطلب الثاني: تميز علماء التجويد في الدراسات الصوتية. المطلب الثالث: غاية الدراسات الصوتية بين علماء التجويد وعلماء اللغة. المبحث الثاني: علم الأصوات الحديث؛ طبيعته وعلاقته بعلم التجويد. المطلب الأول: مجالات وضوابط إفادة علم التجويد من علم الأصوات الحديث. المطلب الثاني: ضوابط وملحوظات حول العلاقة بين علم التجويد وعلم الأصوات الحديث.

● جهود علماء ديوبند في علم الأصوات القرآني، القاسمي، إمداد الحق بختيار (الجامعة الإسلامية دار العلوم وقف ديوبند – مجمع حجة الإسلام للبحث والتحقيق، مجلة وحدة الأمة، ٢٠١٦، مج:٤، ع:٧، ص ٢٦٤-٢٨٥):

جند علماء ديوبند كل ما لديهم من الطاقات، والإمكانيات، والمواهب في نشر علوم الإسلام، وخدموا القرآن والحديث، وقاموا بخدمة علم التجويد والقراءات، وعلم الأصوات القرآني من خلال مؤلفاتهم، وكتبهم، وحلقات دروسهم، وخطبهم، وموعظتهم، فقد شارك كثير ممن صرف جهده إلى دراسة القراءات القرآنية، وعني بالتأليف في وجوهها، وضبط أحكامها، وإبانة طرق أدائها في تثبيت أركان الدراسات الصوتية، وتقدمها، والتنويه بما لها من عظيم نفع، وجليل أثر، فلو استعرض أحد جهود جامعة ديوبند، وعلمائها وحدها المتمثلة في علم الأصوات القرآني، وأعمالها المجيدة في نشر الفن؛ لاندهش، ولتحيّر ببراعتهم الفنية، ومهاراتهم العلمية، وخدماتهم

التأليفية الهائلة، وقد حاول الباحث أن يجسد نبذة من جهودهم في تطور علم الأصوات القرآني في شبه القارة الآسية –بالإيجاز– في هذه الدراسة.

ويظهر الفرق بين هذه الدراسات ودراسة الباحثة في أنها تناولت الدراسات الصوتية بشكل عام دون تحديد كتاب معين أو موضوع محدد من موضوعات التجويد؛ بينما حددت الباحثة تناولها في بعض أحكام الغنَّة.

القسم الثَّاني: تحدَّث عن الدِّراسات الصَّوتيَّة عند علماء التَّجويد في كتاب معيّن أو موضوع محدّد، ومن ذلك:

المصطلح الصَّوتي في كتاب (الموضح في التَّجويد) لعبدالوهاب القرطبي: تأصيل وموازنة، الطائي، رافع عبدالغني يحيى، جامعة كركوك، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، ٢٠٢٠، مج:١٥، ع:١، ص٧٠-٩٢):

خصص الباحث الدراسة الصوتية في كتاب محدّد من كتب التجويد وهو كتاب (الموضح في التَّجويد) وتناول الدراسة الصوتية في هذا الكتاب؛ بينما كانت دراسة الباحثة تتحدّث عن الجانب الصوتي في الغنَّة وبعض أحكامها.

- الدِّراسات الصَّوتيَّة عند علماء التَّجويد وعلم الأصوات: مخارج الحروف نموذجًا، قاضي محمَّد، جامعة مولود معمري تيزي وزو، مجلة الممارسات اللّغوية، ٢٠١٧، ع:٣٩، (ص ١٢١– ١٤٢):

سعى هذا البحث إلى تسليط الضوء على ظاهرة لغوية سجّلت اهتمامًا كبيرًا لدى الباحثين من علماء التجويد وعلم الأصوات، والتي تندرج ضمن أبحاث الدراسات الصوتية، وهي مخارج الحروف؛ إذ تعد من المباحث التي

شغلت العلماء في الدراسات اللغوية والنحوية والصرفية، فعلم الأصوات كعلم قائم بذاته لم تتحدَّد معالمه إلا في القرن الماضي، وعرف تطورًا كبيرًا بفضل الأجهزة الدقيقة التي افتقر إليها علماء المسلمين في العصور المتقدمة، والتي ساعدت على تحديد مختلف الظواهر الصوتية. وعلماء اللغة والتجويد استطاعوا تحقيق نتائج باهرة؛ إذ اعتمدوا على الحس المرهف في تمييز مصادر الأصوات ودرجاتها. فدراسة المخارج عند علماء التجويد جاءت من منطلق تحسين وتجويد القراءة الثابتة الصحيحة، وسلامة النطق بالصوت العذب ومقاربته بالنطق النبوي الشريف، أما دراسة اللسانيين فجاءت من منطلق دراسة الموضوعات اللغوية والصوتية على حد سواء. وقد توصل علماء التجويد -على قلة الوسائل المتوفرة- إلى نتائج صوتية، وأطروحات وصفية دقيقة، لازالت قائمة إلى اليوم في باب مخارج الحروف.

وهنا يظهر الفرق بين هذه الدراسة -التي تناولت مخارج الحروف بالدراسة- ودراسة الباحثة؛ إذ تناولت الغنَّة.

تصميم البحث

أولًا: المقدّمة: وشملت بيان أهمية الموضوع، وتوضيح المنهج المتّبع في معالجته وعرضه، والتعريف بالدراسات السابقة.

ثانيًا :التمهيد: وفيه تعريف التَّجويد لغةً واصطلاحًا، وبيان أهميته وغايته وفضله، ثم نبذة مختصرة عن تاريخ التَّجويد والتَّأليف فيه، وبيان علاقته بعلم الأصوات.

ثالثًا: أقسام البحث: قُسم البحث إلى مبحثين:

الأول: الجانب الصَّوتي في علم التجويد.

الثاني: الغنَّة وبعض أحكامها دراسة صوتيَّة.

- رابعًا: الخاتمة: وتمّ فيها بيان أهم النتائج التي توصّلت إليها الباحثة.
- خامسًا: الفهارس: وفيها: فهرس المصادر والمراجع، وفهرس المحتويات.

التَّمهيـد

التَّجويد

لغةً: مصدر جوَّد تجويدًا، والاسم منه الجودة ضد الرداءة، يقال: جوَّد فلان في كذا إذا فعل ذلك جيِّدًا[١]. قال الداني: "اعلموا -أيَّدكم الله بتوفيقه- أن التجويد مصدر جوّدت الشيء. ومعناه انتهاء الغاية في إتقانه، وبلوغ النهاية في تحسينه، ولذلك يقال: جوّد فلان في كذا، إذا فعل ذلك جيِّدًا، والاسم منه الجودة"[٢].

اصطلاحًا: "هو العلم الذي يبحث في الكلمات القرآنية من حيث إعطاء الحروف حقها ومستحقها، وحق الحرف هو مخرجه وصفاته التي لا تفارقه كالهمس والجهر، ومستحقه: هو صفاته العارضة التي يوصف بها أحيانًا، كالتفخيم والترقيق"[٣].

وقيل: "هو تصحيح إخراج كل حرف من مخرجه المختص به تصحيحًا يمتاز به عن مقاربه، وتوفية كل حرف صفته المعروفة به توفية تخرجه عن مجانسه"[٤].

---

(١) ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر، أشرف على تصحيحه: الصباغ، علي محمد، ج١ (د.م: د. ت): ٢١٠.

(٢) الداني، عثمان بن سعيد، التحديد في الإتقان والتجويد، دراسة وتحقيق: د.الحمد، غانم قدوري: (دار عمار: عمان: ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م): ٦٨.

(٣) د. ربيع، أحمد علي محمود، المدخل إلى علم الأصوات العربية وفن التجويد: (مكتبة الرشد: الرياض: ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م): ١٠٧.

(٤) ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر، مرجع سابق: ٢١٤/١.

وقيل: هو إعطاء الحروف حقوقها، وترتيبها مراتبها، ورد الحرف إلى مخرجه وأصله، وإلحاقه بنظيره وتصحيح لفظه، وتلطيف النطق به على حال صيغته وكمال هيئته من غير إسراف ولا تعسف ولا إفراط ولا تكلف، وليس بين التجويد وتركه إلا رياضة من تدبره بفكه"(١).

فضله

يعد علم التَّجويد من أفضل العلوم وأشرفها؛ لأنه يتعلَّق بأفضل وأعظم الكتب، وهو القرآن الكريم.

غايته

صون الألسنة عن الوقوع في اللَّحن والخطأ أثناء تلاوة القرآن الكريم(٢).

كيفيته

يتم عن طريق التعليم والتدريب وكثرة التمرين(٣)، وفي ذلك يقول ابن الجزري: "يعمل لسانه وفمه بالرياضة في ذلك إعمالًا حتى يصير ذلك له طبعًا وسليقةً"(٤).

(١) الداني، عثمان بن سعيد، التحديد في الإتقان والتجويد، مرجع سابق: ٦٨.
(٢) د. معيد، محمد، الملخص المفيد في علم التجويد، ط:٨: (دار السلام: د. م: ٢٠٠٣): ٨.
(٣) د. ربيع، أحمد علي محمود، المدخل إلى علم الأصوات العربية وفن التجويد، مرجع سابق: ١٠٧.
(٤) ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد النشر في القراءات العشر: ٢١٤/١.

أهميته

قال رسول الله ﷺ: "الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن يتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران ..."(١).

وقال العلامة ابن الجزري رحمه الله(٢):

والأخذ بالتجويد حتمٌ لازم
من لم يجود القرآن آثم

لأنه به إلـه أنزلا
وهكذا منه إلينا وصلا

وهو أيضًا حلية التلاوة
وزينة الأداء والقراءة

وهو إعطاء الحروف حقها
من صفة لها ومستحقها

---

(١) البخاري، عبدالله بن محمد، صحيح البخاري، ط١(دمشق: بيروت: دار الفكر: ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م): كتاب التفسير، ص: ١٢٥٤، حديث رقم (٤٩٣٧)، النيسابوري، مسلم بن الحجاج: (الرياض: بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع: ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م): باب فضل الماهر بالقرآن، ص ٣١٢، حديث رقم (٧٩٨).

(٢) ابن الجزري، محمد بن محمد، المقدمة الجزرية، تحقيق: المطيري، محمد فلاح بعنوان "الإحكام في ضبط "المقدمة الجزرية" و"تحفة الأطفال" ط١(وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م): ٥٦-٥٧.

نبذة تاريخية عن علم التجويد(١)

إن علماء قراءة القرآن لم يفردوا لموضوع الأصوات وتجويدها كتابًا مستقلًّا قبل أبي مزاحم الخاقاني، الذي يُعد أول من أفرد مصنفًا في علم التجويد.

ونجد في كتب القراءات القرآنية كثيرًا من الإشارات إلى قضايا صوتية صارت فيما بعد جزءًا من علم التجويد؛ إلا أنها ظلت مختصرة وغير منظمة حتى فترات متأخرة، وذلك عندما صار علماء القراءة يصدرون كتبهم ببعض مباحث علم التجويد، مثل ما نجده عند ابن الجزري في كتابه (النشر في القراءات العشر).

وقد كان التأليف في القراءات وتدوينها في الكتب قد بدأ منذ أواخر القرن الهجري الأول، وكثرت كتب القراءات في القرنين الثاني والثالث، ومن بينهما كتاب (السبعة في القراءات) لابن مجاهد الذي توفي عام ٣٢٤ه، وذلك قبل وفاة أبي مزاحم بعام واحد.

ويمكن القول بأن كتاب (السبعة في القراءات) لابن مجاهد، يعد أقدم كتاب معروف في زماننا من كتب القراءات القديمة، ونجد في هذا الكتاب نتفًا من موضوعات علم التجويد والدراسة الصوتية.

وكل ما سبق لا يعني أن المتقدِّمين من علماء القراءة لم يهتموا بالتجويد، بل إنهم كانوا يطبِّقون أصول التجويد تطبيقًا عمليًّا، وينقلون القراءات عن طريق التلقين والمشافهة، مثلما كانت الأجيال الأولى من

(١) د. الحمد، غانم قدروي، أبحاث في علم التجويد: (دار عمار: عمان: ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م): من ص ١٤ إلى ١٧.

الصحابة والتابعين يُجَوِّدون القرآن، على الرغم من أنهم لم يدرسوا هذا العلم في الكتب، وإنما كان ذلك مرتبطًا بتلقيهم القرآن مُجوّدًا، بالإضافة إلى تمكنهم من الفصاحة، وسلامة ألسنتهم من العجمة.

ويظهر مما سبق؛ أن علم القراءات ليس هو علم التجويد، والتأليف فيه لا يعد تأليفًا في علم التجويد، وإنما كان التأليف في القراءات؛ ممهِّدًا لجمع مسائل التجويد في كتب مستقلة.

وظهر بعد قصيدة الخاقاني كتاب (التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي) للسعيدي، ومع أن المؤلف لم يستعمل في عنوان الكتاب كلمة "التجويد" إلا أنه ذكر في مقدّمة الكتاب أن موضوعه تجويد القراءة[١].

وبعد ذلك ظهر كتاب في القراءات وهو كتاب (الأوسط) للعماني، وتبرز أهمية هذا الكتاب في نشأة علم التجويد ورسم حدوده من خلال[٢]:

---

(١) د. الحمد، غانم قدوري، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد الخامس، جماد الآخر ١٤٢٩هـ، عنوان المقال: علم التجويد قبل كتاب الرعاية وكتاب التحديد من "الكتاب الأوسط" للعماني: ١٩٥، السعيدي، علي بن جعفر، التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي، تحقيق: الحمد، غانم قدوري، مجلة المجمع العلمي: (العراق: المجمع العلمي العراقي: ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، مج٣٦، ج٢: من ص ٢٤٠- ٢٨٧. المقدمة ص:٢٥٩.

(٢) د. الحمد، غانم قدوري، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد الخامس، جماد الآخر ١٤٢٩هـ، عنوان المقال: علم التجويد قبل كتاب الرعاية وكتاب التحديد من "الكتاب الأوسط" للعماني، مرجع سابق: ١٩٦- ١٩٧.

(٣) العماني، الحسن بن علي، الكتاب الأوسط في علم القراءات، تحقيق: حسن، عزة، ط١(دمشق: دار الفكر: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م): ٧٢.

١. أن المؤلف استخدم مصطلح "التجويد" وجعله عنوانًا للباب الذي تحدث فيه عن التجويد، ويمكن القول بأن ذلك كان ممهدًا لاستقلال هذا العلم في مؤلفات خاصَّة.

٢. قدّم العماني تعريفًا اصطلاحيًّا للتجويد، وهو قوله: "اعلم أن التجويد حلية التلاوة وزينة القراءة، وهو إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها ومراتبها ..."(١).

٣. ربط المؤلف –في هذا الكتاب– بين علم التجويد ومبحث مخارج الحروف وصفاتها، فقال: "والذي ذكرته من التجويد والأداء غير ممكن إلا بعد المعرفة بالحروف ومخارجها ومدارجها..."(٢)، وقد أصبح الحديث عن مخارج الحروف وصفاتها من ضمن مباحث وموضوعات التجويد.

٤. رصد العماني بعض الحالات النطقية التي يلزم القارئ العناية بها، حتى لا يقع في اللحن، وأصبحت هذه الحالات بعد ذلك من مسائل التجويد.

وظهر بعد ذلك كتاب (الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق التلاوة) و(التحديد في الإتقان والتجويد).

إذن، أوَّل مؤلف في التجويد هو القصيدة الخاقانية، وأول ما ألف بعدها في علم التجويد الكتب الثلاثة: التنبيه والتحديد والرعاية، ويبقى السعيدي وأبو محمد مكي والداني هم علماء الجيل الأول من علماء التجويد(٣).

---

(١) العماني، الحسن بن علي، الكتاب الأوسط في علم القراءات، تحقيق: حسن، عزة، مرجع سابق: ٧٥.

(٢) المرجع السابق: ٧٥.

(٣) د. الحمد، غانم قدوري، أبحاث في علم التجويد، مرجع سابق: ٥٩.

علاقته بعلم الأصوات

من المعروف أن علم الصوتيات يهدف –من خلال دراسته لأصوات اللغة من كل جوانبها– إلى تقنين أداء اللغة وفق النظام العام لهذه اللغة، فعلم أصوات العربية يسعى إلى تحديد النظام الذي تؤَدَّى به اللغة العربية الفصحى وفق الذوق العربي السليم، وذلك من أجل أن يتحقق للعربية سلامتها من اللحن والخطأ، فيكون تعبيرها عن المعاني تعبيرًا دقيقًا لا نقص فيه(١).

والأداء باعتباره مصطلحًا صوتيًّا؛ فهو الصورة النطقية التي تأتي عليها اللغة المنطوقة بأصواتها وكلماتها وجملها، ويتكوَّن الأداء من تتابع خط الشدة للأصوات والكلمات في الجملة، وكذلك من تتابع درجة النغمة في الجملة، وأيضًا من تتابع خط الكم الزمني للأصوات أو خط الطول للأصوات والمقاطع في الجملة، إضافة إلى أنواع السرعة التي يتم بها نطق الكلمات والجمل وهو ما يعرف بالتزمين، وأيضًا خط اللون للأصوات، ونظام الوقفات من حيث عددها وحجمها في الكلام، ومن الإيقاع(٢).

والأداء يختلف في الفن الواحد من فنون القول باختلاف الحالة النفسية للمتكلم التي تختلف باختلاف شخصية المتكلم التي تختلف باختلاف نوع الجملة، فأداء جملة الاستفهام يختلف عن أداء جملة الإخبار، كما يختلف عن أداء جملة التعجب، وهكذا(٣).

---

(١) د. علام، عبدالعزيز أحمد، عن علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة (جامعة الأزهر: القاهرة: ١٤٠٠هـ ـ ١٩٩٠م): ٢٣.

(٢) المصدر السابق: ٢٣.

(٣) المصدر السابق: ٢٤.

وبهذا المستوى نفسه تكون تلاوة القرآن الكريم وتجويده، فالتلاوة للقرآن كالأداء بالنسبة للغة[١]، ولما كان التجويد القرآني مهتمًا بالأداء والتلاوة للقرآن؛ فهنا يظهر الارتباط الشديد بين علم الأصوات وعلم التجويد؛ إذ إن علم الأصوات يقوم بدراسة الصوت اللُّغوي بصفة عامَّة، أما التجويد فإنه يختص بالصوت القرآني فقط، كما أنه مختص بالنواحي الأدائية، بخلاف علم الأصوات الذي يتناول الأداء وغيره، وهكذا يلاحظ أن علم الأصوات أعم وأشمل من علم التجويد[٢].

(١) المصدر السابق: ٢٥.

(٢) د. ربيع، أحمد علي محمود، المدخل إلى علم الأصوات العربية، مرجع سابق: ١٠٨.

المبحث الأوَّل
الجانب الصَّوتي في علم التَّجويد

مدخل

لعل للدكتور غانم قدوري التصدر في الدراسات في علم التجويد، ومن أهم إنجازاته في هذا المجال كتابه (الدراسات الصوتية عند علماء التجويد) ويمكن القول بأنه –إلى حد كبير– قد انفرد ببيان الفكرة الصوتية عند علماء التجويد، وتوضيح المنهج الذي اعتمده علماء التجويد.

وسأقوم في هذا المبحث بعرض ما ذكره الدكتور غانم في هاتين الفكرتين، مع محاولة العودة إلى المراجع القديمة التي اعتمد عليها في توضيح هاتين الفكرتين ما استطعت إلى ذلك سبيلًا.

أولًا: الفكرة التي تستند إليها الدِّراسة الصَّوتية عند علماء التَّجويد

إن دراسة علماء التَّجويد للأصوات ارتبطت بشكل أساسي بدراسة معالجة ما سمّوه باللَّحن الخفي، وقد قسموا اللَّحن إلى قسمين، هما: اللَّحن الجلي واللَّحن الخفي، واللَّحن الجلي هو ما يتعلق بالخطأ الظاهر في الحركات بشكل خاص، وكانوا يرون أن هذا اللَّحن هو ميدان وعمل النحاة والصرفيين. واللَّحن الخفي هو ما يطرأ على الأصوات من خلل؛ وذلك بسبب عدم توفيتها حقوقها من المخارج أو الصفات، أو ما يطرأ لها من أحكام عند تركيبها في الكلام المنطوق، وهذا هو ميدان عمل علماء التجويد، وعناصر علم التجويد الأساسية متمثلة في: مخارج الحروف وصفاتها، وأحكامها التركيبية[1].

(١) د. الحمد، غانم قدوري، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: (مطبعة الخلود: بغداد: ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م): ٥٠.

وكان ابن مجاهد هو صاحب فكرة تقسيم اللَّحن إلى جلي وخفي، قال الداني: "حدثني الحسين بن شاكر المسمار قال: حدثنا أحمد بن نصر، قال: سمعت ابن مجاهد يقول: اللحن في القرآن لحنان: جليّ وخفيّ، فالجلي لحن الإعراب، والخفي لحن ترك إعطاء الحرف حقه من تجويد لفظه"(١).

وجاء في كتاب (السبعة): "وكذلك ما روي من الآثار في حروف القرآن، منها المعرب السائر الواضح، ومنها المعرب الواضح غير السائر، ومنها اللغة الشاذة القليلة، ومنها الضعيف المعنى في الإعراب غير أنه قد قرئ به، ومنها ما توهم فيه فغلط به -فهو لحن غير جائز- عند من لا يبصر من العربية إلا اليسير، ومنها اللحن الخفي الذي لا يعرفه إلا العالم النحرير"(٢).

وقد قال أبو مزاحم الخاقاني مشيرًا إلى اللَّحن:

فأوَّل علم الذكر إتقان حفظه ومعرفة باللَّحن فيه إذا يجري
فكن عارفًا باللَّحن كيما تزيله فما للذي لا يعرف اللَّحن من عذر(٣)

وممن أشار إلى فكرة تقسيم اللَّحن أيضًا، أبو الحسن السعيدي في كتابه (التنبيه على اللَّحن الجلي واللَّحن الخفي)، وقد قال في مقدمته: "ينبغي

(١) الداني، عثمان بن سعيد، التحديد في الإتقان والتجويد، مرجع سابق: ١١٦.
(٢) ابن مجاهد، أبوبكر أحمد بن موسى، السبعة في القراءات، تحقيق د. ضيف، شوقي، ط٣: (دار المعارف: القاهرة: د. ت): ٤٩.
(٣) الخاقاني، هدى المجيد في شرح قصيدتي الخاقاني والسخاوي في التجويد مع رسالة القول السديد في بيان حكم التجويد للشيخ الحسيني، راجعه وقدم له: شرف، جمال محمد: (دار الصحابة: طنطا: د.ت): ٢١، د. الحمد، غانم قدوري، أبحاث في علم التجويد، مرجع سابق: ٣٠ -٣١، د. الحمد، غانم قدوري، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ٥١.

لقارئ كتاب الله -عز وجل- بعد معرفته باللَّحن الجلي أن يعرف اللَّحن الخفي؛ لأن اللَّحن لحنان، لحن جلي ولحن خفي"[١].

"فاللَّحن الجلي هو أن يرفع المنصوب وينصب المرفوع أو يخفض المنصوب والمرفوع، وما أشبه ذلك، فاللَّحن الجلي يعرفه المقرئون والنحويون وغيرهم من قد شم رائحة العلم"[٢].

"واللَّحن الخفي لا يعرفه إلا المقرئ المتقن الضابط الذي قد تلقن من ألفاظ الأستاذين المؤدي عنهم، المعطي كل حرف حقه غير زائد فيه ولا ناقص منه، المتجنب عن الإفراط في الفتحات والضمات والكسرات والهمزات وتشديد المشددات، وتخفيف المخففات، وتسكين المسكنات، وتطنين النونات، وتفريط المدات وترعيدها، وتغليظ الراءات وتكريرها، وتسمين اللامات وتشريبها الغنة، وتشديد الهمزات وتلكيزها ..."[٣].

وكان عبدالوهاب القرطبي من الذين اهتموا بقضية اللَّحن، بل جعلها أساس تقسيم كتابه (الموضح في علم التجويد)، وقد ذكر في مقدمة كتابه السبب الذي دفعه للتأليف فقال: "ولما رأيت الناشئين من قرأة هذا الزمان وكثيرًا من منتهيهم قد أغفلوا إصلاح ألفاظهم من شوائب اللَّحن الخفي، وأهملوا تصفيتها من كدره وتخليصها من دَرنه، حتى مرنت على الفساد

(١) السعيدي، علي بن جعفر، التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي، مرجع سابق: ٢٥٩، د. الحمد، غانم قدوري، أبحاث في علم التجويد، مرجع سابق: ٥٢.

(٢) السعيدي، علي بن جعفر، التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي، مرجع سابق: ٢٦٠، د. الحمد، غانم قدوري، أبحاث في علم التجويد، مرجع سابق: ٥٢.

(٣) السعيدي، علي بن جعفر، التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي، مرجع سابق: ٢٦٠، د. الحمد، غانم قدوري، أبحاث في علم التجويد، مرجع سابق: ٥٢.

ألسنتهم، وارتاضت عليه طباعهم، وصار لهم عادة، بل تمكن منهم تمكن الغريزة ... رأيت لفرط الحاجة إلى ذلك وعظم الغناء به، أن أقتضب مقالًا يهز عِطفْ الفاترة ويضمن غرض الماهرة ويسعف أمل الراغب، ويؤنس وسادة العالم"(١).

وبيّن بعد ذلك منهجه الذي سوف يسير عليه في الكتاب فقال: "أذكر معنى اللَّحن في موضوع اللغة وحدّه، وحقيقته في العرف والمواضعة، والسبب الذي من أجله علق بالألسنة وفشا في كلام العرب، وأبيّن ما المقصود بالتنبيه عليه، والمراد من الإعلان بالتحذير منه، وما الفائدة الحاصلة بذلك والثمرة المجتناة عنه، ثم أشفع ذلك بالكلام عليه من جهة التفصيل والتقسيم، وأبعث على تجويد القراءة بذكر ما يستقبح منها وما يستحسن، ويختار منها ويستهجن، بقدر الطاقة ومنتهى الوسع والإمكان"(٢).

وظلت فكرة اللَّحن موضع عناية علماء التجويد من بعده حتى العصور المتأخرة، مع ملاحظة أن من العلماء من أهمل الإشارة إلى هذه الفكرة، واكتفى بدراسة الأصوات ومعالجة مشكلاتها وظواهرها التركيبية.

ومما يدل على وجود هذه الفكرة كتاب (الإيضاح في القراءات العشر واختيار أبي عبيد وأبي حاتم) لأحمد بن أبي عمرو؛ إذ نجد في هذا الكتاب عدة أبواب عن التجويد، وقد كان لموضوع اللَّحن فيها جزء واضح، منها الباب السابع والعشرون "في ذكر اللَّحن الخفي ومقالات أرباب الصناعة في

---

(١) القرطبي، عبدالوهاب بن محمد، الموضح في التجويد، تحقيق: الحمد، غانم قدوري، ط١ (عمان: دار عمار: ١٤٢١هـ -٢٠٠٠م): ٥٣-٥٤، د. الحمد، غانم قدوري، أبحاث في علم التجويد، مرجع سابق: ٥٢-٥٣.

(٢) القرطبي، عبدالوهاب بن محمد، الموضح في التجويد، مرجع سابق: ٥٤.

ذلك"، وقد قال في مطلع الباب الخاص باللَّحن الخفي: "واعلم أن اللَّحن الخفي لا يعرفه إلا النحارير الماهرون من القراء والحذاق والمحققون من العلماء بالقرآن، بلغنا عن أبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد – رحمه الله– أنه قال: اللَّحن في القرآن لحنان جلي وخفي، فالجلي لحن الإعراب، والخفي ترك إعطاء الحروف حقها من تجويد لفظها بلا زيادة فيها ولا نقصان"(١).

وممن تحدث عن اللَّحن –أيضًا– المرادي في كتابه (المفيد في شرح عمدة المجيد) قال: "وذكر بالإسناد إلى ابن مجاهد –رحمه الله تعالى– أنه قال: اللَّحن لحنان جلي وخفي، فالجلي لحن الإعراب، والخفي لحن ترك إعطاء الحرف حقه من تجويد لفظه"(٢).

وكذلك أشار إلى اللَّحن ابن الجزري في كتابه (التمهيد) فقال: "اعلم أن اللَّحن على ضربين، لحن جلي، ولحن خفي، ولكل واحد منهما حد يخصه وحقيقة يمتاز بها على صاحبه..."(٣).

وغير ذلك من المصنفات الكثيرة التي لا يتسع المقام لذكرها في هذه الوريقات، "ويتضح مما سبق أن ملاحظة اللَّحن الخفي في قراءة القرآن ومحاولة معالجتها، وتصحيح النطق بها كانت السبب الذي يقف وراء

---

(١) الأندرابي، أحمد بن أبي عمرو، الإيضاح في القراءات، تحقيق: غني، منى عدنان: ٣٥١، د. الحمد، غانم قدوري، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، مرجع سابق: ٥٢.

(٢) المرادي، حسن بن قاسم، المفيد في شرح عمدة المجيد في النظم والتجويد، تحقيق: رفاعي، جمال: (مكتبة أولاد الشيخ للتراث: د. ن: د. ت): ٥٨.

(٣) ابن الجزري، محمد بن محمد، التمهيد في علم التجويد، تحقيق د. الجواب، علي حسين: (مكتبة المعارف: الرياض: ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م): ٦٢.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، وأنهم درسوا أصوات اللغة وحددوا صور نطقها الصحيحة، ورصدوا الانحرافات المتوقعة في نطقها مما سمّوه باللَّحن الخفي؛ ليحترز الناطق منها ويجتنبها، وقد تحققت لعلماء التجويد بذلك فرصة لدراسة أصوات العربية دراسة شاملة، لم تتحقق للنحاة الذين كانت تشغلهم دراسة الأصوات لمعالجة بعض القضايا الصرفية"(١).

ثانياً: منهج علماء التجويد

يتميَّز منهج علماء التجويد -أي طريقتهم في دراسة الأصوات اللُّغويَّة- بأنه منهج شامل لتناول جميع المباحث المتعلِّقة بعلم الأصوات النطقي، إضافة إلى أنه منهج صوتي خالص لم يحصل للدراسة الصوتية فيه الاختلاط بما عداها من الموضوعات(٢).

١. منهج علماء التَّجويد منهج شامل

وشمولية منهج علماء التَّجويد للمباحث الصوتية يظهر في المنهج الذي لخّصه المرادي إذ قال: "اعلم أن تجويد القراءة يتوقَّف على أربعة أمور، أحدها معرفة مخارج الحروف، والثاني معرفة صفاتها، والثالث معرفة ما يتجدّد لها بسبب ذلك التركيب من الأحكام، والرابع رياضة اللسان بذلك وكثرة التكرار، وأصل ذلك كله تلقيه من أولي الإتقان وأخذه عن العلماء بهذا الشأن"(٣).

---

(١) د.الحمد، غانم قدوري، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، مرجع سابق: ٥٥- ٥٦.

(٢) المرجع السابق: ٥٧.

(٣) المرادي، حسن بن قاسم، المفيد في شرح عمدة المجيد في النظم والتجويد، مرجع سابق: ٥٧.

وقال د. الحمد: "قد تضمَّن النص السابق -إلى جانب الأمور الأربعة- الإشارة إلى أمرين مهمين في تعليم الأصوات، وسلامة النطق، الأول التلقي عن المعلم المتقن، والثاني: السلامة من عيوب الكلام مع صحة أعضاء النطق"(١).

ولم يكن المرادي هو أوَّل من حدَّد هذا الإطار للدراسة الصوتية عند علماء التجويد ولا آخر من تحدَّث عنه، ولكنه أوَّل من حدَّده على هذا النحو من الوضوح، وقد قال في كتاب آخر عن الأمرين الأوَّلين: "اعلموا أن قطب التجويد وملاك التحقيق معرفة مخارج الحروف وصفاتها التي بها ينفصل بعضها من بعض، وإن اشترك في المخرج"(٢).

ويقول أبو العلا الهمذاني: "الباب الثامن: في معرفة أسماء الحروف ومخارجها ومجاريها ومدارجها ومستحسن فروعها ومستقبحها، اعلم أن هذا الباب من أشرف أصول القراءة وأهم فصول التلاوة، وذلك أن الحروف أصل الكلام كله وعليها ومدار تأليفه، ثم من يقرأ القرآن ويتعاطى هذا الشأن متى ما لم يتقن مخارج الحروف وأجناسها لم يقف على الخلل الواقع فيها، ولم يهتد إلى تجويد القراءة وتهذيبها، وكان كمن رام قطع تيهٍ بلا دليل، وإصعاد قنة نيقٍ بغير ما سبيل، فإذا عرف الحروف وأتقنها، ولاحظ أجناسها وأحكمها، ثم انضاف إلى ذلك طبع يتقبل هذا الشأن، ويمتزج به أشفى به ذلك على القراءة الصحيحة والألفاظ القويمة بعون الله ومنّه"(٣).

---

(١) د. الحمد، غانم قدوري، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، مرجع سابق: ٦١.

(٢) الداني، عثمان بن سعيد، التحديد في الإتقان والتجويد، مرجع سابق: ١٠٢.

(٣) الهمذاني، الحسن بن أحمد، التمهيد في معرفة التجويد، تحقيق: الحمد، غانم قدوري، ط١: (عمان: دار عمار: ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م):٢٧٣.

وقال أبو الفضل عن عبدالرحمن بن أحمد الرازي عن الأمر الثالث: "ينبغي لقارئ القرآن أن يعرف ما يحدث بعض الحروف في بعض من النقصان لاستطالة حرف على حرف في التجاور، ويستشعر بعضها من بعض في تداخل المخارج ..."(١).

وتحدَّث عن المنهج كله ابن الجزري فقال: "أوَّل ما يجب على مريد إتقان قراءة القرآن تصحيح إخراج كل حرف من مخرجه المختص به تصحيحًا يمتاز به عن مقاربه، وتوفية كل حرف صفته المعروفة به، توفية تخرجه عن مجانسه يُعْمِل لسانه وفمه بالرياضة في ذلك إعمالًا يصير ذلك له طبعًا وسليقة، فكل حرف شارك غيره في مخرج فإنه لا يمتاز عن مشاركه إلا بالصفات، وكل حرف شارك غيره في صفاته فإنه لا يمتاز عنه إلا بالمخرج ... فإذا أحكم القارئ النطق بكل حرف على حدته موفٍّ حقه، فليُعْمِل نفسه بإحكامه حالة التركيب، لأنه ينشأ عن التركيب ما لم يكن حالة الإفراد، وذلك ظاهر، فكم ممن يحسن الحروف مفردة ولا يحسنها مركبة، بحسب ما يجاورها من مجانس ومقارب، وقويّ وضعيف، ومفخم ومرقق، فيجذب القوي الضعيف، ويقلب المفخم المرقق، فيصعب على اللسان النطق بذلك على حقه إلا بالرياضة الشديدة حالة التركيب، فمن أحكم صحة اللفظ حالة التركيب حصّل حقيقة التجويد بالإتقان والتدريب"(٢).

أما الأمر الرابع وهو "رياضة اللسان بذلك وكثرة التكرار" فقد كان علماء التجويد قد أولوه أكبر عناية؛ إذ كان اعتمادهم على التلقي

---

(١) الأندرابي، أحمد بن أبي عمرو، الإيضاح في القراءات، مرجع سابق: ٣٥٢.

(٢) ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر، مرجع سابق: ٢١٤/١- ٢١٥.

بالمشافهة، وكانوا يحثون على رياضة اللسان وتدريبه على نطق الحروف، وتوفيتها حقوقها من المخارج والصفات في حالة إفرادها، وكذلك توفيتها أحكامها الخاصة بها عند تركيبها(١).

وقال الداني بعدما عرّف التجويد: "وليس بين التجويد وتركه إلا رياضة من تدبره بفكه"(٢).

وقال الداني أيضا: "قال الحسين، قال لنا أحمد: كان ابن مجاهد، رحمه الله؛ لعلمه بتفاوت الناس في العلم بالقراءة وقصور أفهامهم، يستثبت كثيرًا ممن يقرأ عليه ..."(٣).

ونقل الداني خبرًا عن عمر بن الخطاب، وذكر بعده قولًا لأبي عمرو ونصّه: "وهذا الخبر أصل كبير، ومعناه تعليم عمر عبدَالله -رضي الله عنهما- رياضة الألسنة ..."(٤).

ووضَّح مكّي بن أبي طالب حاجة المتعلِّم إلى الأخذ عن الشيخ المتقن، وحاجة الشيخ إلى أن يكون متقنًا تجويد الحروف بالاعتماد على الأصول التي دوّنها علماء التجويد في كتبهم، وذلك في قوله: "قال أبو محمد: والمقرئ إلى جميع ما ذكرناه في كتابنا هذا أحوج من القارئ؛ لأنه إذا علمه علّمه، وإذا لم يعلمْه لم يُعلِّمه، فيستوي في الجهل بالصواب في ذلك القارئ والمقرئ. ويضل القارئ بضلال المقرئ، فلا فضل لأحدهما على الآخر،

(١) د.الحمد، غانم قدوري، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، مرجع سابق: ٥٩.
(٢) الداني، عثمان بن سعيد، التحديد في الإتقان والتجويد، مرجع سابق: ٦٨.
(٣) المصدر السابق: ١١٧.
(٤) المصدر السابق: ٨٠.

فمعرفة ما ذكرنا لا يسع من انتصب للإقراء جهله، وبه تكمل حاله، وتزيد فائدة القارئ الطالب ويلحق بالمقرئ.

وليس قول المقرئ والقارئ: "أنا أقرأ بطبعي، وأجِدُ الصواب بعادتي في القراءة لهذه الحروف من غير أن أعرف شيئًا مما ذكرته بحجة بل ذلك نقض ظاهر فيهما؛ لأن من كانت هذه حجته يصُيب ولا يدري، ويُخطئ ولا يدري، إذ عِلْمُه واعتماده على طبعه وعادة لسانه يمضي معه أين ما مضى به من اللفظ، ويذهب معه أين ما ذهب، ولا يبني على أصل ولا يقرأ على علم، ولا يقرئ عن فهم. فما أقر به من أن يذهب عنه طبعه، أو تتغير عليه عادته، وتستحيل عليه طريقته، إذ هو بمنزلة من يمشي في ظلام في طريق مشتبه، فالخطأ والزلل منه قريب، والآخر بمنزلة من يمشي على طريق واضح معه ضياء؛ لأنه يبني على أصل وينقل عن فهم، ويلفظ عن فرعٍ مستقيم، وعلة واضحة فالخطأ منه بعيد، فلا يرضَيَنّ امرؤ لنفسه في كتاب الله -جل ذكره- وتجويد ألفاظه، إلا بأعلى الأمور، وأسلمها من الخطأ والزلل، والله الموفق للصواب"(١).

وقد جعل ابن الجزري التدريب ورياضة اللسان الطريق الأمثل لتحصيل التجويد، فقال: "ولا أعلم سببًا لبلوغ نهاية الإتقان والتجويد، ووصول غاية التصحيح والتسديد مثل رياضة الألسن والتكرار على اللفظ المتلقي من فم المحسن ..."(٢).

---

(١) القيسي، مكي بن أبي طالب، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق التلاوة، تحقيق د.فرحات، أحمد حسن، ط٣ (دار عمارة: عمان: ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م): ٢٥٣-٢٥٤.

(٢) ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر، مرجع سابق: ٢١٣/١.

وهناك قضية تتصل بالاتجاه التعليمي للأصوات العربية عند علماء التجويد، وهي بالإضافة إلى تأكيدهم على ضرورة التلقي مشافهة من الشيخ المقرئ فإنهم يؤكدون على ضرورة أن يكون عند المتلقي حسّ نقديّ، وعدم التقليد المحض، بل على الطالب أن يعرض ما يتلقاه عن شيخه على ما هو مقرر في كتب التجويد من أصول؛ خوفًا من أن يكون الشيخ قد وهم في بعض ما يلقنه إياه(١).

قال الداني: "قال أبو عمرو: وقراء القرآن متفاضلون في العلم بالتجويد والمعرفة بالتحقيق، فمنهم من يعلم ذلك قياسًا وتمييزًا، وهو الحاذق النبيه، ومنهم من يعلمه سماعًا وتقليدًا، وهو الغبي الفَهِيهُ. والعلم فطنه ودراسة آكد سماعًا وروايةً، وللدراية ضبطها ونظمها، وللرواية نقلها وتعلمها، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم"(٢).

وقد ناقش قضية التدقيق في التلقي عن الشيوخ أيضًا المرعشي في كتابيه (جهد المقل) و(بيان جهد المقل)، فقال في الكتاب الأول: "وتجويد القرآن قد يحصله الطالب بمشافهة الشيخ المجود بدون معرفة مسائل هذا العلم، بل المشافهة هي العمدة في تحصيله، لكن بذلك العلم يسهل الأخذ بالمشافهة، ويزيد به المهارة، ويصان به المأخوذ عن طريان الشك والتحريف كما صرح به في الرعاية"(٣).

---

(١) د.الحمد، غانم قدوري، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، مرجع سابق:٦١.

(٢) الداني، عثمان بن سعيد، التحديد في الإتقان والتجويد، مرجع سابق: ٦٧.

(٣) د. المرعشي، محمد بن أبي بكر، جهد المقل، تحقيق: د. الحمد، غانم قدوري، ط٢ (دار عمار: عمان: ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م): ١١٠.

وقام بشرح هذا النص في كتابه (بيان جهد المقل) فقال: "وقوله (بمشافهة الشيخ) قال في الصحاح: المشافهة المخاطبة من فيك إلى فيه، انتهى. أقول: فإضافة المشافهة إلى الشيخ من قبيل إضافة المصدر إلى الفاعل، أي بمشافهة الشيخ المجود إياه، قوله (هي العمدة) يجيء بمعنيين: بمعنى المقصود، وبمعنى ما يعتمد عليه، والمراد الثاني؛ لأن الإنسان كثيرًا ما يعجز عن أداء الحروف بمجرد معرفة مخارجها وصفاتها من المؤلفات، ما لم يسمعه من فم الشيخ، لكن لما طالت سلسلة الأداء تخلل أشياء من التحريفات في أداء كثير من شيوخ الأداء...

فوجب علينا ألا نعتمد على أداء شيوخنا كل الاعتماد، بل نتأمل فيما أودعه العلماء في كتبهم من بيان مسائل هذا الفن، ..."[١].

وقد أورد الدكتور غانم النصوص المتعلقة بهذا الشأن، وأكتفي هنا بالإشارة دون سرد النص[٢].

والقضية الأخيرة التي تحدث عنها علماء التجويد، هي ما جاء في نص المرادي وهي (حسن الصوت وجودة الفك ودرابة اللسان، وصحة الأسنان)[٣].

---

(١) د. الحمد، غانم قدوري، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ط٢ (عمان: دار عمار: ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م): ٦٢، نقلًا عن بيان جهد المقل للمرعشي.

(٢) يرجع في هذه النقطة إلى الحمد، غانم قدوري، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، مرجع سابق:٦٢-٦٣ نقلًا عن: جهد المقل وبيان جهد المقل.

(٣) المرادي، حسن بن قاسم، شرح الواضحة في تجويد الفاتحة، تطريز: العصيمي، صالح بن عبدالله، النسخة الإلكترونية الأولى: ٧- ٨.

يقول د.الحمد: "وهي تعني السلامة من عيوب النطق وأمراض الكلام، وهذا الموضوع وإن لم يكن لغويًّا محضًا فإنه من مكملات الدراسة الصّوتيَّة اللُّغويَّة"(١).

وخلاصة ما سبق:

يمكن القول بأن منهج علماء التجويد كان شاملًا؛ فقد تناول الموضوعات الأساسية في علم الأصوات النطقي، وهي:

١. إنتاج الأصوات اللُّغويَّة وتقسيمها، ويتضمن ذلك دراسة آلة النطق ومخارج الحروف وصفاتها.

٢. دراسة ما ينشأ عنها من الأحكام، أي الظواهر الصوتية عندما تتركب في الكلام المنطوق، كما شمل أيضًا دراسة موضوعات تعتبر تكميلية، وهي:

١.رسم المنهج التعليمي للأصوات وهو يتمثل في التلقي المباشر عن المعلم الذي لابد أن يكون متقنًا، وبعد ذلك التدريب المستمر على نطق الأصوات، وهو ما سمَّاه علماء التجويد برياضة اللسان، على أن يكون هذا المنهج التعليمي خاضعًا للإطار النقدي المتعدّد الاتجاهات، وذلك يتمثل في أن القاعدة المدونة في الكتب تحمي الأداء عن الانحراف في النطق من جانب، ومن جانب آخر أن الدراية تساعد على تدقيق القاعدة المدونة، والسمو بها نحو الدقة في وصف جوهر العملية النطقية المراد الحديث عنها.

٢.معالجة عيوب النطق أو ما يسمَّى بأمراض الكلام(٢).

---

(١) د.الحمد، غانم قدوري، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٦٣.

(٢) المصدر السابق: ٦٤.

٢. منهج علماء التَّجويد منهج صوتي خالص[١]

ويدل على ذلك عدة أمور:

١.تمكّن علماء التَّجويد من تجريد المباحث الصوتية المبعثرة في كتب النحو والصرف والقراءات، وأن يجمعوها في كتب مستقلة.

٢.ميَّز علماء التَّجويد أبحاثهم الصوتية بتسمية جديدة هي (علم التَّجويد) ولم يدعوها تحمل اسم علم النحو أو علم الصرف أو علم القراءات، حتى ولو كانت ذات صلة بهذه العلوم، ومن هذه الكتب (التحديد في الإتقان والتجويد) للداني، و(الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة بعلم مراتب الحروف ومخارجها وصفاتها وألقابها) المكي بن أبي طالب، و(الموضح في التجويد) للقرطبي، وغيرها.

٣.لم تختلط كتب التَّجويد بمباحث العلوم الأخرى التي ترتبط بها، فقد ميَّزوا بين علم القراءات وعلم التَّجويد بشكل واضح من حيث المنهج والموضوع، أما المنهج فقد نصُّوا على أن كتب القراءات تعتمد على الرواية؛ بينما تعتمد كتب التَّجويد على الدراية المبنية على المشافهة ورياضة الألسن، وأما الموضوع فإن كتب القراءات معنية برواية وجوه القراءات في نطق كلمات القرآن، في حين أن كتب التَّجويد تُعنى بكيفية أداء الألفاظ بإخراج الحروف من مخارجها وإعطائها حقها من صفاتها، لا اختلاف بين القراء في أكثره.

يقول مكّي في الفرق بين العلمين: "وقد ذكرنا في غير هذا الكتاب ما تدغم منه الذال وغيرها من الحروف مما اختلف فيه القراء فيه، فأغنى عن

---

(١) المصدر السابق: ٦٤ إلى ٧٤.

ذكر ذلك في هذا الكتاب، فتلك الكتب كتب تحفظ منها الرواية المختلف فيها، وهذا الكتاب يحكم فيه لفظ التلاوة التي لا خلاف فيها، فتلك كتب رواية، وهذا كتاب دراية"(١).

أما علاقة علم التَّجويد بعلم الصّرف فتظهر بشكل خاص في موضوعات معينة مثل الكلام عن البدل والزيادة والقلب وحروف العلة، وقد ذكر علماء التجويد صراحة أن استقصاء مثل تلك المباحث إنما يكون في كتب التصريف واللغة، لا في كتب علم التجويد.

ولهم في ذلك نصوص كثيرة، منها ما قاله الفخر الموصلي بعد أن ذكر حروف الإبدال: "والبدل موقوف على السماع"(٢)، وقال بعد أن ذكر حروف العلة وانقلاب بعضها إلى بعض: "وهذا يستقصى في كتب التصريف"(٣).

وإذا انتقلنا إلى علاقة علم التَّجويد بعلم الوقف والابتداء، فيلاحظ أن الداني بكتابه (التحديد)، (باب ذكر الوقف وأقسامه) وقال فيه: "اعلموا أن التجويد لا يتحصّل لقرّاء القرآن إلا بمعرفة الوقف ومواضع القطع على الكلم"(٤).

وعلى الرغم من العلاقة بين العلمين إلا أن علماء التجويد قد أدركوا الفرق بين العلمين، قال المرعشي عن علم الوقف والابتداء: "وهذا فن

---

(١) القيسي، مكي بن أبي طالب، الرعاية لتجويد القراءة، مرجع سابق: ٢٢٥- ٢٢٦.
(٢) الدر المرصوف في وصف مخارج الحروف (تأليف: أبي المعالي بن أبي الفرج فخرالدين الموصلي المتوفي سنة ٦٢١هـ- مجلة الحكمة - جمادي الثانية ١٤٢٣هـ - العدد ٢٥- تحقيق: الحمد، غانم قدوري: ٢٣٩.
(٣) المصدر السابق:٢٤١.
(٤) الداني، عثمان بن سعيد، التحديد في الإتقان والتجويد، مرجع سابق: ١٧٤.

مستقل مغاير لفن التجويد، ولكن جرت عادة بعض العلماء بجعل قواعده الكلية جزءًا من كتب التجويد"[١].

يقول د. الحمد: "من كل ما ذكرناه نخلص إلى هذه النتيجة، وهي أن علماء التجويد كانوا مدركين للحدود التي تفصل علم التجويد عن العلوم الأخرى التي تتصل به من بعض الجوانب، وأنهم حين كانوا يضطرون إلى ذكر بعض المباحث التي ترجع إلى بعض تلك العلوم، يصرحون بأن هذه المباحث ترجع إلى هذا العلم أو ذاك؛ حرصًا منهم من أن تظل موضوعات علم التجويد متميزة عن مباحث العلوم الأخرى"[٢].

(١) المرعشي، محمد بن أبي بكر، جهد المقل، مرجع سابق: ٢٤٩.

(٢) د. الحمد، غانم قدوري، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، مرجع سابق: ٧٥.

المبحث الثّاني

الغنَّة وبعض أحكامها دراسة صوتيَّة

الغنَّة

تعريفها

لغةً: "الغنَّة صوت في الخيشوم، وقيل صوت فيه ترخيم نحو الخياشيم تكون من نفس الأنف، وقيل الغنَّة أن يجري الكلام في اللّهاة وهي أقل من الخنّة، والغنَّة أن يشرب الحرف صوت الخيشوم والخنّة أشد منها... وقيل: الأغنّ الذي يخرج كلامه من خياشيمه"(١).

اصطلاحاً

ـ "صوت مستقر في نفس النون والميم، ذو رنين حسن"(٢).

ـ "الصوت الزائد على جسم الميم والنون، منبعث عن الخيشوم المركب فوق غار الحلق الأعلى"(٣).

ـ "صوت أغنّ مركَّب في جسم النون ولو تنوينًا، والميم مطلقًا"(٤).

---

(١) ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب، ط٣، ج١٣ (دار صادر: بيروت: ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م): ٣١٥.

(٢) معبد، محمد أحمد، الملخص المفيد في علم التجويد، مرجع سابق: ٣٢.

(٣) ابن الطحان، عبدالعزيز بن علي، مرشد القارئ إلى تدقيق معالم المقارئ، تحقيق: الضامن، حاتم صالح: (مكتبة التابعين: القاهرة: ٢٠٠٧م): ٤٩.

(٤) المرصفي، عبدالفتاح السيد، هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، ط٢، ج١: (مكتبة طيبة، المدينة المنورة: د. ن): ١٧٧.

نطقها

"صوت يخرج فيه الهواء أثناء عملية النطق من التجويف الأنفي، وقد يقترن خروج الهواء بحسن تام في التجويف الفمي، وذلك عند نطق الصوائت الأنفية حيث يلمس طرف اللسان الأسنان العليا أو اللثة في نطق النون، أو تطبق الشفتان في حالة الميم"(١).

مخرجها

للعلماء في ذلك آراء(٢):

ـ بعضهم صنّفها حسب مكان النطق؛ فقال إنها تخرج من الخيشوم(٣).

ـ بعضهم صنّفها حسب طريقة نطقه؛ فعدّها من صفات الحروف(٤).

قال المرصفي: "أما مخرجها فمن الخيشوم كما تقدم في المخارج، وهو خرق الأنف المنجدب إلى داخل الفم، وقيل هو أقصى الأنف -أي إن صوت الغنّة بجميع أحواله- يخرج من الخيشوم، ودليل ذلك أنه لو أمسك بالأنف لانحبس خروجه مطلقًا، حتى في حال ضعفه عند تحريك النون والميم مخففتين أو سكونهما مظهرتين"(٥).

والسؤال الذي يهمّنا، هو: ما معنى الخيشوم؟

---

(١) د. الضالع، محمد صالح، التجويد القرآني دراسة صوتية فيزيائية، (دار غريب للطباعة والنشر: القاهرة: ٢٠٠٢م): ١٢.

(٢) المصدر السابق:١٣.

(٣) ابن الجزري، محمد بن محمد، التمهيد في علم التجويد، تحقيق: د. البواب، علي حسين: (مكتبة المعارف: الرياض: ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م): ١٥٩.

(٤) المصدر السابق: ٩٥.

(٥) المرصفي، عبدالفتاح السيد، هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، مرجع سابق: ١٧٧/١.

قال الفيروز أبادي: "الخيشوم من الأنف ما فوق نخرته من القصبة وما تحتها من خشارم الرأس، والخياشيم غضاريف في أقصى الأنف بينه وبين الدماغ أو عروق في بطن الأنف"(١).

وقد اتفقت معظم المعاجم الحديثة على أن كلمة "الخيشوم" تدل على أقصى الأنف(٢).

مقدارها

مقدارها حركتان مثل المد الطبيعي، أي غنَّة كاملة من غير تفاوت؛ وذلك في المراتب الثلاث الأولى، وهي المشدّد والمدغم بغنّة الناقص والمخفي، أما في الساكن المظهر والمتحرك المخفف فإنه يثبت فيهما من الغنّة أصلها فقط(٣).

حروفها

النون والميم، وقد عدّها بعض العلماء ثلاثة؛ فأضاف إليها التنوين، وهو في حقيقته نون ساكنة(٤).

قال المرادي: "اعلم أنه جرت عادة القراء بالتنصيص على التنوين مع أنه مندرج في قولهم النون الساكنة، وإنما أفرده بالذكر لأنه يسقط خطًّا بخلاف غيره من أقسام النون الساكنة"(٥).

---

(١) الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط وبهامشه شروح وتعليقات، ط٣، ج٤: (المطبعة الأميرية: د. م: ١٣٠١هـ): ١٠٥.
(٢) د. الضالع، محمد صالح، التجويد القرآني دراسة صوتية فيزيائية، مرجع سابق: ١٣.
(٣) المرصفي، عبدالفتاح السيد، هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، مرجع سابق: ١/ ١٨٠-١٨١.
(٤) ابن الطحان، عبدالعزيز بن علي، مرشد القارئ إلى تحقيق معالم المقارئ، مرجع سابق:٣٨.
(٥) المرادي، حسن بن قاسم، المفيد في شرح عمدة المجيد في النظم والتجويد، مرجع سابق: ١٢٧.

وقال أبو شامة المقدسي عندما تحدَّث عن حروف الغنة: "وهي التنوين والنون والميم فهذه ثلاثة، وفي الحقيقة حرفان النون والميم؛ لأن التنوين نون حقيقة في المخرج والصفة، وإنما الفرق بينهما عدم ثبات التنوين في الوقف، وفي صورة الخط، وأنه لا يكون إلا زائدًا على هجاء الكل؛ فلهذا يعتني القراء بالتنصيص عليه"(١).

مراتب الغنة(٢)

بين العلماء خلاف في المراتب، فمنهم من قال: إنها ثلاث مراتب، وهي: المشدّد ثم المدغم بالغنّة الناقص ثم المخفي، ولم يعتبر هذا الفريق بوجود الغنّة في الساكن المظهر، ولا في المتحرّك المخفّف.

أما جمهور العلماء فإنها عندهم خمس مراتب، وهي الثلاثة السابقة إضافة إلى الساكن المظهر والمتحرك المخفف، والخلاف بين الفريقين لفظي؛ لأن من ذهب إلى سقوط الغنّة في المرتبتين الأخيرتين -الساكن المظهر والمتحرك المخفف- فإنه قصد سقوط كمالها، وهذا لا يتنافى مع أن أصلها موجود عنده، ومن ذهب إلى بنائها فإنه أراد بقاء الأصل فقط لا بقاء الكمال.

وتعتبر الأصوات الأنفية -أصوات الغنّة- من أكثر الأصوات العربية تأثرًا بمجاورة غيرها، خاصَّة النون الساكنة والتنوين؛ لذا كثرت أحكامها، واعتنى بها علماء التجويد عناية كبيرة، وقد يكون تطرّف مخرج الميم -وهو من بين الشفتين- وتوسّط النون في مخارج حروف الفم -وهي من

---

(١) المقدسي، عبدالرحمن بن إسماعيل، إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع للشاطبي، تحقيق: د. عوض، إبراهيم عطوه: (دار الكتب العلمية: د.م: د.ت): ٧٥٠.

(٢) المرصفي، عبدالفتاح السيد، هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، مرجع سابق: ١/١٧٧-١٧٨.

بين طرف اللّسان واللّثة- من الأسباب التي جعلت أحكام النون أكثر من أحكام الميم، بالرغم من أن كلا الصوتين أنفيّين[١].

وسأكتفي هنا بالحديث عن بعض أحكام النون الساكنة دون الميم؛ لما ذكر من أسباب، مضافًا إليها عدم اتساع المجال لذكرها، فيكتفى بإبراز جانب واحد؛ إذ الهدف هو إبراز الجوانب الصوتية، وذكرها في أحكام النون -في نظري- يغني لتحقيق الهدف المرجو من هذا العمل اليسير.

كما أود الإشارة إلى أني لن أتحدث عن الإدغام؛ للأهداف المذكورة سابقًا، إضافة إلى أن الإدغام ينقسم إلى قسمين بغنة وبغيرها، وحديثنا في هذا البحث عن الغنة؛ لذا رأيت أنه لا داعي للحديث عن قسم دون قسم، والهدف المرجو من البحث يتحقق دون ذكره.

النُّون والتَّنوين ومخرجهما

النُّون: "الحرف الخامس والعشرون من حروف الهجاء، وهو مجهور متوسط، ومخرجه من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا، وهو أنفي إذ يتسرب الهواء معه من الأنف مع اللثة العليا وامتداد النفس من الأنف"[٢].

التنوين: "نون ساكنة زائدة تلحق آخر الاسم، وتثبت في اللفظ والوصل، وتسقط في الخط والوقف"[٣].

---

(١) د. الحمد، غانم قدوري، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، مرجع سابق: ٤٢٦-٤٢٧.

(٢) د. أنيس، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، أشرف على الطبع: عطية، حسن علي، ط٢:ج٢/٨٩٥.

(٣) الحصري، محمود خليل، أحكام قراءة القرآن، ضبطه: منيار، محمد طلحة، ط٤: (المكتبة المكية: د. م: ١٩٩٩م): ١٦٧.

المخرج: يعتبر طرف اللسان مع ما يحاذيه من طرف الثنايا العليا هو المسؤول عن إصدار صوت النون المتحركة أيًّا كانت حركتها. والنون الساكنة المظهرة فهي تخرج من طرف اللسان -تحت مخرج اللام قليلًا- مع ما يحاذيها من لثة الأسنان العليا(١).

فعند النطق بصوت النون يعتمد طرف اللسان على أصول الثنايا العليا مع اللثة؛ فيتم حبس الهواء القادم من الرئة في منطقة التجويف الفموي، في الوقت الذي ينخفض فيه الحنك اللين، فيفتح المجال لهذا الهواء المنحبس للمرور في التجويف الأنفي تحت تأثير الضغط المصاحب لدفعة الهواء من الرئة والتي تتسبب في اهتزاز الوترين الصوتيين أثناء النطق فيحدث الجهر، ويرتكز اللسان على أصول الأسنان العليا مع اللثة ولا يكون غرفة رنين فيخرج الصوت مرققًا(٢).

"للنون الساكنة والتنوين حال اتصالهما بأي صوت من الأصوات العربية حالة من إحدى الحالات الثلاث الآتية:

أ. عدم التأثير أو التأثُّر، وذلك في حالة إردافها بأحد حروف الإظهار الستة.

ب. التأثير بالكامل، حيث تدغم بالكلية في الحرف التالي لها دون أن يبقى أثر من صفاتها، وذلك في حالة الإدغام بغنة.

---

(١) أحمد، راغب أحمد، فونولوجيا القرآن دراسة لأحكام علم التجويد في ضوء علم الأصوات الحديثة" رسالة لنيل درجة الماجستير، إشراف أ.د الزغبي، محمد الدسوقي: (جامعة عين شمس: القاهرة: د. ت).244 :

(٢) المصدر السابق: ٢٤٥.

جـ. التأثير الناقص، حيث تدغم جزئيًّا في الحرف التالي لها مع بقاء صفة الغنة، وذلك في حالات الإخفاء والإقلاب والإدغام بغنة"[١].

ومن هذه الحالات ما يلي:

الحالة الأولى

وهي الحالة التي لا تتأثر فيها النون بما يليها مباشرة من الصوامت، كما أنها لا تؤثر فيها، وتكون هذه الحالة عندما يتلوها أحد الصوامت الستة الآتية: ء، ه، ع، ح ، خ، غ؛ وذلك لبعدها عن مخرج النون وهي التي يسميها علماء التجويد الإظهار[٢].

الإظهار لغة: الإبانة أو البيان، وفي الاصطلاح: "إخراج كل حرف من مخرجه الأصلي من غير إخلال بصفاته الجوهرية"[٣]، ومعنى إخراج كل حرف من مخرجه مع تخفيفه هو احتفاظ النون بصفاتها الصوتية الفارقة إذا وليها أحد هذه الصوامت الحلقية[٤].

قال د. علام: "ومعنى إظهار النون الساكنة والتنوين أن ينطقا نطقًا طبيعيًّا كاملًا، فينطقان من مخرجهما الأصلي –وهو طرف اللسان، مع ما

---

(١) أحمد، راغب أحمد، فونولوجيا القرآن دراسة لأحكام علم التجويد في ضوء علم الأصوات الحديثة، مرجع سابق: ٢٤٧– ٢٤٨.

(٢) د. علام، عبدالعزيز أحمد، عن علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة: (د.ن: د.م: ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م): ٢٢٢، د. ربيع، أحمد علي محمود، المدخل إلى علم الأصوات العربية وفن التجويد: (مكتبة الرشد: الرياض: ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م): ١٠٩.

(٣) د. علام، عبدالعزيز أحمد، عن علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، مرجع سابق: ٢٢٢.

(٤) د. ربيع، أحمد علي، المدخل إلى علم الأصوات العربية وفن التجويد، مرجع سابق: ١٠٩.

يقابله من مقدم الحنك- ويأخذان صفتهما التي هي الغنة، دون زيادة ولا نقصان"[١].

"وتعد النون المظهرة الصورة الأصلية للنون، وتتصف بجميع الصفات التي ذكرناها فيما سبق، وتخرج من المخرج الذي حددناه لها، وتكون النون مظهرة إذا وقع بعدها حرف من حروف ستة، وهي: الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء، وهذه الحروف أسماها اللُّغويون العرب حروف الحلق، وهو ما تتفق معه معطيات البحث الحديثة التي كشف عنها علماء التشريح فيما يتعلق بامتداد البلعوم"[٢].

علَّة إظهار هذه الحروف

بُعد المخرج بين النون والتنوين وهذه الحروف[٣]، الأمر الذي يؤدي إلى خفة النطق والانسجام الصوتي، وعدم المشقة على اللسان لعمله في أماكن متباعدة؛ إذ يعمل في طرف اللسان ثم ينتقل بعد ذلك إلى الحنجرة أو الحلق أو أقصى اللسان[٤].

---

(١) د. علام، عبدالعزيز أحمد، عن علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، مرجع سابق: ٢٢٤- ٢٢٥.

(٢) أحمد، راغب أحمد، فونولوجيا القرآن دراسة لأحكام علم التجويد، مرجع سابق: ٢٤٩، ليونز، جون، اللغة وعلم اللغة، ترجمة وتعليق: التوني، مصطفى: (القاهرة: دار النهضة العربية: ١٩٨٧م): ج/١: ١٠٦.

(٣) د. علام، عبدالعزيز أحمد، عن علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، مرجع سابق: ٢٢٥.

(٤) د. ربيع، محمود أحمد، المدخل إلى علم الأصوات العربية وفن التجويد، مرجع سابق: ١١٠.

وفسَّر علماء التَّجويد علَّة الإظهار بالتفسير نفسه، قال مكّي: "والعلّة في إظهار ذلك عند هذه الحروف أن الغنَّة والنون بعد مخرجها من مخرج حروف الحلق، وإنما يقع الإدغام في أكثر الكلام لتقارب مخارج الحروف، فلما تباعدت المخارج وتباينت وجب الإظهار، الذي هو الأصل ولم يحسن غيره"(١).

وقال محمد مكّي: "والعلَّة في إظهارها عند هذه الأحرف بُعد مخرجهما عن مخرجهن؛ لأنهن من الحلق والنون من طرف اللسان، والإدغام إنما يسوغه التقارب"(٢).

درجات الإظهار

تختلف درجات الإظهار تبعًا لاختلاف قُرب المخرج أو بُعده عن مخرج النون، وهي على النحو التالي:

- الإظهار الأعلى، وهو مع الهمزة والهاء.
- الإظهار الأوسط، وهو مع العين والحاء.
- الإظهار الأدنى، وهو مع الغين والخاء(٣).

وذكر سيبويه أن "بعض العرب يجري الغين والخاء مجرى القاف"(٤)، أي أنه يتم إخفاء النون قبلها، وقال: "ألا ترى أنه يقول بعض العرب: مُنْخُلٌ

(١) القيسي، مكي بن أبي طالب، الرعاية لتجويد القراءة، مرجع سابق: ٢٦٢- ٢٦٣.
(٢) الجريسي، محمد مكي نصر، نهاية القول المفيد في علم التجويد، راجعه الشيخ سعد، طه عبدالرؤوف: (مكتبة الصفا: د.م: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م): ١٥٧.
(٣) د. ربيع، محمود أحمد، المدخل إلى علم الأصوات العربية وفن التجويد، مرجع سابق: ١١٠.
(٤) سيبويه، عثمان بن قنبر، الكتاب: تحقيق: هارون، عبدالسلام، ج٤: (بيروت: دار الجبل: د. ت): ٤٥٤.

ومُنْخُل فيخفي النون كما يخفيها مع حروف اللسان والفم، لقرب هذا المخرج من اللسان"(١).

وذكر علماء القراءات أن من القرّاء من قرأ بإخفاء النون الساكنة والتنوين عند الخاء والغين في بعض الروايات(٢).

ولما كان مخرج الغين والخاء قريب من مخرج القاف -كما يرى القدماء- وهو من حروف الفم مثل القاف -كما يرى المحدثون- سوغ أخذ النون مع هذين الحرفين نفس حكمها مع القاف، وإن كان الأولى الإظهار(٣).

وقد علَّل ذلك القرطبي قائلًا: "فأما الغين والخاء فإنهما أقرب حروف الحلق إلى حروف الفم، فتأثرا بذلك القُرب حتى جاز فيهما الإخفاء والإظهار جميعًا، وقد قُرئ بهما، فمن أخفى النون عندهما أجراهما مجرى حروف الفم، ومن أظهرها معهما فكأنه اعتبر قربهما من باقي حروف الحلق، فأجرى عليهما حكمها من الإظهار"(٤).

وقد أشار الداني إلى درجات الإظهار؛ وذلك بتقسيمه حروف الحلق بالنسبة لإظهار النون إلى قسمين: ما تظهر معه النون بتعمُّل، وما تظهر معه النون بغير تعمُّل، فقال: "وإنما بُيِّنَتِ النون والتنوين عند هذه الحروف لبُعد المسافة التي بينهما وبينهن، إلا أن بيانهما عندهن على ضربين بتعمُّل وغير تعمُّل.

---

(١) سيبويه، عثمان بن قنبر، الكتاب: ٤/٤٥١.

(٢) ابن مجاهد، أبوبكر أحمد بن موسى، السبعة في القراءات، مرجع سابق: ١٢٥- ١٢٦.

(٣) د. ربيع، أحمد علي، المدخل إلى علم الأصوات العربية وفن التجويد، مرجع سابق: ١١٠.

(٤) القرطبي، عبدالوهاب بن محمد، الموضح في التجويد، تحقيق: الحمد، غانم قدوري، مرجع سابق: ١٧٢.

والتي يُتَعمّل بيانهما عندهن ثلاثة: الهمزة والغين والخاء؛ لأنه من لم يتعمل ذلك عندهن ولم يتكلف انقلبت حركة الهمزة عليهما وسقطت من اللفظ، وخفيا عند الغين والخاء، لأن ذلك قد يستعمل فيهن، لقربهما من طرفي أقصى اللسان.

والتي لا يتعمّل بيانهما عندهن، إذ لابد منه ضرورة ثلاثة أيضًا الهاء والعين والحاء كما حدثني الحسين بن علي، حدثنا أحمد بن نصر، قال: "سمعت ابن مجاهد يقول: النون الساكنة والتنوين تبينان عند الحاء والهاء والعين ضرورة من غير تعمّل"(١).

والتعمّل في بيان النون الساكنة والتنوين عند النطق بالهمزة حتى لا تسقط الهمزة، لا خشية الإخفاء مثل الغين والخاء؛ لأن ورشًا كان يضع حركة الهمزة على الحرف الساكن قبلها فيصبح متحركًا بحركة الهمزة وتسقط هي من اللفظ، وهذا يحصل إذا كان الساكن الذي قبلها غير حرف مد ولين، وكان آخر كلمة والهمزة في أول الكلمة التي تلي

الساكن، ومثال ذلك في التنوين { كُفُوًا أَحَد}(٢)، وفي النون الساكنة {مِنْ إِسْتَبْرَقٍ }(٣)، ويصبح النطق على قراءة ورش (كُفُوَنَ حَدْ) و(مِنِ سْتَبرق)(٤).

(١) الداني، عثمان بن سعيد، التحديد في الإتقان والتجويد، مرجع سابق: ١١- ١٢.
(٢) الإخلاص: ٤.
(٣) الرحمن: ٥٤.
(٤) د. الحمد، غانم قدوري، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، مرجع سابق: ٤٣٠-٤٣١.

ونصّ على هذا القرطبي فقال: "إن إخفاء النون عند الهمزة مستحيل غير ممكن، ولو تكلف متكلف ذلك لسقطت حركة الهمزة على النون وذهبت الهمزة، وإخفاؤها عند العين والحاء والهاء كذلك، ولو أمكن لأمكن مع قبح، وإخفاؤها مع الغين والخاء ممكن مستحسن؛ فجاز معهما -أعني الغين والخاء- الإظهار والإخفاء، وامتنع الإخفاء ووجب الإظهار فيما عداهما"(١).

ويتصدَّر هنا سؤال مضمونه كيف يمكن الإخفاء ووجوب الإظهار مع الهمزة والعين والحاء والهاء من الناحية الصوتية؟

ذكر د. الحمد أن المحدثين المهتمين بدراسة الأصوات العربية، كان اهتمامهم بالظواهر الصوتية التي تنشأ عن التركيب محدودًا جدًّا، وعليه فإن ما وجد عندهم من أحكام النون الساكنة والتنوين لا يُمكِّن الدارس من تقويم ما ذكره علماء التجويد في هذا الجانب، إلا أنه حاول أن يفسر عبارة ابن مجاهد من الناحية الصوتية -وهي: "النون الساكنة والتنوين تبينان عند الحاء والهاء والعين ضرورة من غير تعمّل"(٢)- بقوله: "ويمكن أن نجد في طبيعة إنتاج أصوات الحلق وصوت النون تفسيرًا لقول ابن مجاهد، فأصوات الحلق، وبشكل أكيد الهمزة والهاء والعين والحاء، تخرج من نقطة أعمق من تلك النقطة التي يمكن أن يتخذ فيها النفس مجراه عبر الخيشوم، وهو ما يحصل عند نطق النون، ومن ثم لا يمكن أن تنطق الأصوات الأربعة مع الغنّة؛ لأنها تتشكَّل قبل أن يصل النفس منطقة اللسان التي تفتح مجرى النفس إلى الخيشوم لإنتاج صوت الغنَّة، وقد يمكن سد مجرى النفس نهائيًّا

(١) القرطبي، عبدالوهاب بن محمد، الموضح في التجويد، تحقيق: الحمد، غانم قدوري، مرجع سابق: ١٧٢.

(٢) الداني، عثمان بن سعيد، التحديد في الإتقان والتجويد، مرجع سابق: ١١- ١٢.

من الفم وفتحه عبر الخيشوم والأنف، في أثناء نطق تلك الأصوات، ويكون الصوت الحاصل حينئذ صوتًا سمجًا لا وجود له في أصوات اللغة.

ومن هنا يعد قول ابن مجاهد صحيحًا؛ إذ لا يمكن أن تتأثر النون بأصوات الحلق الأربعة: الهمزة -مع الحرص على عدم تسهيلها- والهاء والحاء والعين فتخرج النون الساكنة قبلها بينة مظهرة من غير تعمّل، إذ لا يُخشى عندها من الإدغام والإخفاء.

أما الخاء والغين فإنهما أقرب حروف الحلق إلى اللسان (الفم)؛ ويترجح لديّ أنهما يخرجان من نقطة تقع بعد النقطة التي يمكن أن يتخذ فيها النفس مجراه عبر الأنف، ومن ثم يمكن أن تتأثر النون بمجاورتهما إذا لم يتعمّل بإخراجها من مخرجها، فتخفى عندهما كما تخفى عند القاف"[١].

كيفية نطق الإظهار

في حالة الإظهار النون والساكنة والتنوين، لا يتأثران بأي صوت من الأصوات الستة -حروف الإظهار- وإنما ينطقان نطقًا كاملًا سليمًا من حيث المخرج وكذلك الصفة، وبذلك تبقى النون كاملة بنسبة (١٠٠%)[٢].

وإظهار النون الساكنة والتنوين عند حروف الحلق يعني أن طرف اللسان يعتمد على مخرج النون في الفم -وهو اللثة- وعلى مرور النفس أثناء ذلك من الخيشوم محدثًا صوت الغنَّة المصاحب لنطق النون[٣].

---

(١) الحمد، غانم قدوري، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، مرجع سابق: ٤٣٢- ٤٣٣.
(٢) د. علام، عبدالعزيز أحمد، عن التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، مرجع سابق: ٢٢٧.
(٣) د. الحمد، غانم قدوري، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، مرجع سابق: ٤٣٣.

وقد شرح علماء التجويد وبينوا حقيقة الإظهار، ومن ذلك: "وحقيقة الإظهار أن ينطق بالنون والتنوين على حدهما، ثم ينطق بحروف الإظهار من غير فصل بينهما وبين حقيقتهما، فلا يسكت على "النون" ولا يقطعها عن الإظهار، وتجويده -أي الإظهار- إذا نطقت به: أن تسكن النون، ثم تلفظ بالحرف، ولا تقلقل النون بحركة من

الحركات، ولا تسكنها بنقل، ولا ميل إلى غنَّة، ويكون سكونها بلطف"(١).

أمثلة على الإظهار(٢)

في كلمة	في كلمتين	التنوين	الحرف
ينأون	من أحد	كفوًا أحد	الهمزة
ينهون	من هدى	سلامٌ هي	الهاء
أنعمت	من عمل	سميعٌ علم	العين
ينحتون	من حسنة	عليمٌ حكيم	الحاء
فسينغضون	من غير	ماءً غدقا	الغين
المنخنقة	من خوف	يؤمئذٍ خاشعةً	الخاء

(١) د. الجريسي، محمد مكي نصر، القول المفيد في علم التجويد، مرجع سابق: ١٥٨.

(٢) د. ربيع، أحمد علي، المدخل إلى علم أصوات العربية وفن التجويد، مرجع سابق: ١٠٩.

الحالة الثانية

وهي الحالة التي تتماثل النون فيها مع الباء التي تليها مباشرة في المخرج الشفوي وتقلب ميمًا، وتُعرف بظاهرة المماثلة، وهي التي يسمِّيها علماء التجويد "الإقلاب"(١).

الإقلاب لغة: تحويل الشيء عن وجهه، يقال: قلبه أي حوَّله عن وجهه(٢).

أما في الاصطلاح: فهو "قلب النون الساكنة ميمًا مخفاة قبل الباء مع بقاء الغنَّة الظاهرة"(٣).

علَّة الإقلاب(٤)

١.استحقت النون الساكنة والتنوين الإقلاب؛ لعدم موجب الإظهار وهو بُعد المخرج، وللكلفة التي تكون على الناطق إذا لجأ إلى إظهار النون أو التنوين كاملتين في المخرج والصفة، وبعد ذلك نطق بالباء.

٢.انتفاء موجب الإدغام وهو قُرب المخرج؛ لأن مخرج النون بعيد عن مخرج الباء، وحصول الإدغام سيؤدي إلى ذهاب غنة الميم وتحولهما إلى باء مما يؤدي إلى اللبس.

---

(١) د. الضالع، محمد صالح، التجويد القرآني دراسة صوتية فيزيائية، مرجع سابق: ١٥.
(٢) د. علام، عبدالعزيز أحمد، عن علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، مرجع سابق: ٢٥١.
(٣)الجريسي، محمد مكي، نهاية القول المفيد في علم التجويد، راجعه: سعد، طه عبدالرؤوف، ط١:(مكتبة الصفا: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م): ١٦٢.
(٤) د. علام، عبدالعزيز أحمد، عن علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، مرجع سابق: ٢٥٢.

٣. انتفاء موجب الإخفاء وهو التوسُّط في المخرج بين أصوات الإظهار وأصوات الإدغام، فلما انتفى الموجب لكل من الأحكام الثلاثة لم يبقَ -للتخلُّص من الكلفة الموجودة في النطق- إلا الإقلاب.

وفسّر د. ربيع علّة الإقلاب تفسيرًا صوتيًّا بقوله: "والسبب في هذا الإقلاب أيضًا اقتصاد الجهد العضلي، ومراعاة الانسجام الصوتي الذي لا يتوفَّر مع نطق النون بكل خصائصها الصوتية؛ نظرًا لأن النون من أصوات طرف اللسان الاحتكاكية الخيشومية، أما الباء فهي من الأصوات الشفوية الشديدة، فحوّلوا النون من باب التقريب إلى صوت يشترك مع الباء في المخرج، مع النون في الصفة، وهو صوت الميم؛ لأنه يشارك الباء في الشفوية، والنون في الخيشومية"(١).

وقد فطن إلى ذلك القدماء، قال سيبويه: "ولم يجعلوا النون باء لبُعدها في المخرج، وأنها ليست فيها غنَّة، ولكنهم أبدلوا من مكانها أشبه الحروف بالنون وهي الميم، وذلك كقولهم: ممبك، يريدون،: من بك، وشمباء وعمبر، يريدون: شنباء وعنبرًا"(٢).

كما تحدث علماء التجويد عن ذلك، قال الداني: "والحال الثالثة أن يقلب ميمًا من غير إدغام، وذلك إذا لقيا الباء، نحو: { أَن بُورِكَ }(٣)و{ أَنبِئْهُم }(٤) و{جُدَدٌ بِيضٌ }(٥) و{ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا }(٦) وما أشبهه.

---

(١) د. ربيع، أحمد علي، المدخل إلى علم الأصوات العربية وفن التجويد، مرجع سابق: ١١٤.
(٢) سيبويه، عثمان بن قنبر، الكتاب، مرجع سابق: ٤/ ٤٥٣.
(٣) النمل: ٨.
(٤) البقرة: ٣٣.
(٥) فاطر: ٢٧.
(٦) النور: ٤٠.

وإنما قلبا ميمًا عندها خاصَّة من أجل مؤاخاة الميم للنون في الغنَّـــة، ومشاركتها للباء في المخرج؛ فقلبا ميمًا من أجل ذلك"(١).

وقال مكّي: "والعلّة في إبدال النون الساكنة والتنوين ميمًا عند الباء أن الميم مؤاخية للباء؛ لأنها من مخرجها، ومشاركة لها في الجهـــر والشـــدة، وهي أيضًا مؤاخية "للنون في الغنة والجهر" فلما وقعت النون قبل الباء، ولم يمكن إدغامهما فيها لبُعد المخرجين، ولا أن تكون ظاهرة لشبهها بأخت الباء وهي الميم، أبدلت منها ميمًا لمؤاخاتها النون والباء... قال: ولـــم يجعلـــوا النون باءً؛ لبعدها في المخرج من الباء، وأنها ليست فيها غنّة، يعني: الباء، قال: ولكنهم أبدلوا من مكانها أشبه الحروف بالنون: وهي الميم هذا تعليـــل سيبويه للنون مع الباء"(٢).

ووصف د. الحمد الإقلاب بقوله: "إذا وقعت النون الساكنة قبل البـــاء تتأثّر بها، ويتغيّر نطقها، ولكن لا يصل ذلك التأثير إلى حد الفناء التام فـــي الباء، إنما تنقلب النون إلى صوت وسط بينها وبين الباء وهو الميم، فهـــو من مخرج الباء، ويشارك النون في الغنَّة"(٣).

كيف يُنطق الإقلاب؟

تُنطق النون ميمًا مخفاة، أي أنها تُقلب (ميمًا) وبعد ذلك نسقط مخرج الميم بدون جعل الشفتين تنطبقان، ونكتفي بإخراج الهواء مـــن التجويـــف

(١) الداني، عثمان بن سعيد، التحديد في الإتقان والتجويد، مرجع سابق: ١١٥.
(٢) القيسي، مكي بن أبي طالب، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، مرجع ســـابق: ٢٦٦.
(٣) د. الحمد، غانم قدوري، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، مرجـــع ســـابق: ٤٤٣-٤٤٤.

الأنفي، وبعد أن ينتهي زمن نطق الميم بهذه الطريقة، نجعل الشفتين تنطبقان من أجل الباء، وبعد أن تنتهي فترة الغلق، نبعد الشفتين إحداهما عن الأخرى، فيحصل "الانفجار" الذي يسمع معه صوت الباء دون تأثرّ الميم بأي شيء(١).

الحالة الثالثة

هي تداخل نطق النون مع نطق الصامت الذي يليها، ويترتب على ذلك أن تتأثّر وتؤثّر فيه، ويسمّي علماء الأصوات هذا النوع من التداخل المشاركة النطقية، وهي ما يسمّى عند علماء التجويد "الإخفاء"(٢).

الإخفاء في اللغة: **الستر**.

واصطلاحًا: "النطق بالنون الساكنة أو التنوين بشكل متوسّط بين الإظهار والإدغام عاريًا عن التشديد مع بقاء الغنة في الحرف الأول"(٣).

وقد جمعت حروف الإخفاء في أوائل كلمات البيت التالي:

صف ذا ثنا كم جاد شخص قد سما دم طيّبًا زد في تقى ضع ظالما(٤).

(١) د. علام، عبدالعزيز أحمد، عن التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، مرجع سابق: ٢٥٣- ٢٥٤ .

(٢) د. الضالع، محمد صالح، التجويد القرآني دراسة صوتية فيزيائية، مرجع سابق: ١٦.

(٣) علام، عبدالعزيز أحمد، عن علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، مرجع سابق: ٢٣٠.

(٤) د. ربيع، أحمد علي، المدخل إلى علم أصوات العربية وفن التجويد، مرجع سابق: ١١٢.

علَّة الإخفاء

سبب الإخفاء هو توسُّط المخرج؛ إذ إن المخرج في أصوات الإخفاء ليس قريبًا من مخرج النون الساكنة والتنوين -مثل الإدغام- فيجب الإدغام، وليس بعيدًا عن مخرج النون الساكنة والتنوين -مثل أصوات الإظهار- فيجب الإظهار، وإنما مخرج أصوات الإخفاء في منزلة متوسِّطة بين أصوات الإدغام وأصوات الإظهار(١).

وقيل عن علَّة الإخفاء: "ثمة علة فيسيولوجية وراء كون النون في هذا الموضع بهذه الصورة؛ إذ يصعب نطق الحروف المتجاورة المخرج، وهذه الحروف الخمسة عشر مع النون هي حروف مخرجها من الفم، فكان من الأيسر نطقًا أن يكون مخرجهما معهن مختلفًا عنهن"(٢).

وفي ذلك يقول سيبويه: "وتكون النون مع سائر حروف الفم حرفًا خفيًّا مخرجه من الخياشيم، وذلك أنها من حروف الفم، وأصل الإدغام لحروف الفم، لأنها أكثر الحروف، فلما وصلوا إلى أن يكون لها مخرج من غير الفم كان أخف عليهم ألا يستعملوا ألسنتهم إلا مرة واحدة، وكان العلم بها أنها نون من ذلك الموضع كالعلم بها وهي من الفم؛ لأنه ليس حرف يخرج من ذلك الموضع غيرها، فاختاروا الخفة إذا لم يكن لبس، وكان أصل الإدغام وكثرة الحروف للفم، وذلك قولك: "مَنْ كان، ومَنْ قال، ومَنْ جاء"(٣).

---

(١) د. علام، عبدالعزيز أحمد، عن علم التجويد القرآني، مرجع سابق: ٢٣٤- ٢٣٥.

(٢) التوني، مصطفى زكي، النون في اللغة العربية دراسة لغوية في ضوء القرآن الكريم، حوليات كلية الآداب: (الكويت: مجلس النشر العلمي – جامعة الكويت: الحولية السابعة عشرة: ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م): ٢٧.

(٣) سيبويه، الكتاب، مرجع سابق: ٤/٤٥٤.

قال د.ربيع: "لقُرب مخرج النون من هذه الحروف –لأنها كلها من الفم– وتحقيقًا للانسجام الصوتي تخلَّت النون عن بعض خصائصها، ولم تتخلَّ عنها كلها، وكان ذلك طلبًا للخفَّة نظرًا لكثرة استعمالهم لحروف الفم، وهذا الرأي صحيح؛ إذ إن الإخفاء من وجهة النظر الصوتية الحديثة يمثِّل نوعًا من المماثلة الجزئية دعت إليها مراعاة الانسجام الصوتي بين حرفين متقاربين في المخرج؛ لأن النون وإن كانت من حروف اللسان، فبالغنة التي فيها خالطت الخياشيم واتصلت بجميع حروف الفم"(١).

وقد فطن علماء التجويد إلى علَّة الإخفاء، قال الداني: "وإنما أخفيا عندهن لأنهما لم يبعدا منهن لبُعدهما من حروف الحلق، فيجب الإظهار للتراخي، ولم يقربا منهن كقُربهما من حروف (لم يرو) فيجب الإدغام للمزاحمة، فأخفيا فصارا لا مظهرين ولا مدغمين، وغنّتهما مع ذلك باقية، ومخرجيهما من الخيشوم خاصَّة، ولا عمل للسان فيهما، والخيشوم خرق الأنف المنجدب إلى داخل الفم"(٢).

كيفية النُّطق بالإخفاء

عند النُّطق بحروف الإخفاء لابد من الحرص على عدم ارتفاع طرف اللسان إلى ما يقابله من الحنك الأعلى، وعلى عدم التصاقهما كما يحدث في النون العادية، وبذلك يكون المخرج قد سقط ثم نخرج الهواء من الأنف، وذلك عن طريق هبوط اللسان إلى أسفل، فيفتح الطريق إلى الأنف، وبعد

(١) د. ربيع، أحمد علي، المدخل إلى علم الأصوات، مرجع سابق: ١١٢– ١١٣.
(٢) الداني، التحديد في الاتقان والتجويد، مرجع سابق: ١١٥.

ذلك يمد الهواء في التجويف الأنفي، ويدخل في الفراغات الرنينية، فتتكون صفة النون والتنوين وهي الغنَّة.

وبعد انتهاء زمن نطق النون أو التنوين، تنتقل أعضاء النطق إلى نطق صوت الإخفاء، من غير أن تؤثِّر فيه (النون أو التنوين أو يتأثَّر الحرف بهما)[١].

"ويلاحظ أن اعتماد اللسان للنون المخفاة إذا كان عند صوت شديد (انفجاري) فإن الغنة تخرج خالصة من الخياشيم، وأن اعتماده لها إذا كان عند صوت رخو (احتكاكي) فإن النفس في أثناء خروجه من الأنف يكون مصحوبًا بتسرب جزء منه من الفم من الموضع الذي يعتمد فيه للحرف الذي يأتي بعد النون، ويتأكد ذلك بسد الأنف في أثناء النطق بالحالتين، حيث تبطل الغنّة في الحالة الثانية ويظل النفس جاريًا في مخرج الحرف"[٢].

"ويتحقَّق الإخفاء باندماج النون في الصوت التالي لها بحيث يكون من الأصوات الخمسة عشر، وتفنى فيه ولا يبقى منها إلا الغنَّة، فيصير (مخرجها) الخيشوم، والخيشوم (مخرج) لصفة الغنَّة لا لأصواتها، وهي الميم والنون في اللغة العربية"[٣].

مراتب الإخفاء ودرجاته

لاحظ القرَّاء أن أصوات الإخفاء ليست على درجة واحدة، وتحدثوا عمَّا سمّوه بمراتب الإخفاء، قال الحصري:

---

(١) د.علام، عبدالعزيز أحمد، عن التجويد القرآني، مرجع سابق: ٢٣٧.
(٢) د. الحمد، غانم قدوري، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، مرجع سابق: ٤٥٠.
(٣) د. الضالع، محمد صالح، التجويد القرآني دراسة صوتية، مرجع سابق: ٨٥.

"وللإخفاء ثلاث مراتب باعتبار قُرب مخرج الأحرف من مخرج النون والتنوين، وبُعدها عن مخرجهما: قربى وبعدى ووسطى. فالقربى عند الطاء والدال والتاء. والبعدى عند القاف والكاف. والوسطى عند بقية أحرف الإخفاء"(١).

والحديث عن مراتب الإخفاء يدور حول ما يأتي(٢):

أولًا: أصوات الإخفاء من حيث قُرب مخارجها أو بُعدها عن مخرج النون والتنوين.

ثانيًا: درجة الإخفاء في النون والتنوين.

ثالثًا: زمن النون والتنوين في حالة الإخفاء.

أما بالنسبة للعنصر الأول، فيلاحظ أن أصوات الإخفاء تختلف نتيجة تبعًا لاختلاف قُرب مخارجها أو بُعدها، عن مخرج النون والتنوين، وهي على ثلاثة أنواع:

الأول: ما كان مخرجه قريب من مخرج النون والتنوين، وهو ثلاثة أصوات: (الطاء والدال والتاء).

الثاني: ما كان مخرجه بعيدًا عن النون والتنوين، وهو صوتان فقط: (القاف والكاف).

الثالث: ما كان مخرجه متوسطًا بين القُرب والبُعد، وهو بقية أصوات الإخفاء، وهي عشرة.

---

(١) الحصري، محمود خليل، أحكام قراءة القرآن، مرجع سابق: ١٨٨.

(٢) د. علام، عبدالعزيز أحمد، عن علم التجويد القرآني، مرجع سابق: ٢٣٩- ٢٤٠.

وأما العنصر الثاني فإنه من الملاحظ أن الإخفاء تارة يكون أقرب إلى الإظهار، وذلك عندما يكون مخرج الصوت بعيدًا عن مخرج النون، ويكون ذلك مع حرفي الكاف والقاف لأن مخرجهما من أقصى اللسان مع أقصى الحنك، والنون والتنوين من طرف اللسان.

وتارة يكون الإخفاء إلى الإدغام أقرب، وذلك عندما يكون مخرج الصوت في الإخفاء قريبًا من مخرج النون والتنوين، ويكون ذلك مع حرفي الطاء والدال والتاء.

وعليه، فإن درجة الإخفاء تكون أشد وضوحًا كلما اقترب مخرج الصوت من مخرج النون، وتقل كلما ابتعد مخرج الحرف عن مخرج النون.

وبناء على ما سبق، يمكن ترتيب أصوات الإخفاء، ترتيبًا تصاعديًّا حسب درجة الإخفاء.

(النون) متوسط بقية أصوات الإخفاء، فقبل مخرجها عدة مخارج وبعده كذلك؛ ولذا فالقُرب والبُعد يشمل ما قبلها وما بعدها.

أولاً: المخارج التي قبلها

١. القاف والكاف.

٢. الجيم والشين.

٣. الصاد والسين والزاي.

ثانياً: المخارج التي بعدها حسب القُرب

١. الضاد والفاء والدال والتاء.

٢. الظاء والذال والثاء.

٣. الفاء.

وأما العنصر الثالث: وهو زمن النون والتنوين في حالة الإخفاء:

فأما عن زمن الغنَّة، فقد ذهب بعض قرّاء القرآن إلى أنها تقدر بمقدار حركتين مثل المد الطبيعي، وفرّق بعض القرّاء بين أنواع الغنَّة من حيث ارتباطها بالزمن، وذلك حسب نوع الحرف التالي للحرف المغن، وبذلك يطول زمن الغنَّة مع صوتي القاف والكاف فيصل إلى حركتين مثل المد الطبيعي، ويقل الزمن مع أصوات الطاء والتاء والدال فلا تتجاوز الحركة الواحدة، ويكون بين بين مع بقية حروف الإخفاء فتبلغ الغنّة زمن الحركة ونصف الحركة[١].

(١) أحمد، راغب أحمد، فونولوجيا القرآن، مرجع سابق: ٢٥٨.

الخاتمة

وبعد انتهاء هذه الدراسة تورد الباحثة النتائج على النحو الآتي:

- إن التأليف في علم القراءات كان ممهِّدًا لجمع مسائل التجويد في كتب مستقلة.

- أوَّل مؤلّف في التجويد هو القصيدة الخاقانية، وأوَّل ما ألّف بعدها في علم التجويد الكتب الثلاثة: التنبيه والتحديد والرعاية، ويبقى السعيدي وأبو محمد مكّي والداني هم علماء الجيل الأول من علماء التجويد.

- هناك ارتباط بين علم الأصوات وعلم التجويد؛ ويظهر ذلك الارتباط في كون علم الأصوات يقوم بدراسة الصوت اللُّغوي بصفة عامَّة، أما التجويد فإنه يختص بالصوت القرآني فقط، كما أنه مختص بالنواحي الأدائية، بخلاف علم الأصوات الذي يتناول الأداء وغيره، وهكذا يلاحظ أن علم الأصوات أعم وأشمل من علم التجويد.

- إن ملاحظة اللَّحن الخفي في قراءة القرآن ومحاولة معالجتها، وتصحيح النطق بها؛ كانت السبب الذي يقف وراء الدراسات الصوتية عند علماء التجويد؛ ولتحقيق ذلك درسوا أصوات اللُّغة وحدَّدوا صور نطقها الصحيحة، ورصدوا الانحرافات المتوقَّعة في نطقها ممَّا سمّوه باللَّحن الخفي؛ ليحترز الناطق منها ويجتنبها.

- تميَّز منهج علماء التجويد بأنه منهج شامل لتناوله جميع المباحث المتعلِّقة بعلم الأصوات النطقي، إضافة إلى أنه منهج صوتي خالص لم يحصل للدراسة الصوتية فيه الاختلاط بما عداها من الموضوعات.

● للنون الساكنة والتنوين حال اتصالهما بأي صوت من الأصوات العربية حالة من إحدى الحالات الثلاث الآتية:

أ. عدم التأثير أو التأثُّر، وذلك في حالة إردافها بأحد حروف الإظهار الستة.

ب. التأثير بالكامل، حيث تدغم بالكلية في الحرف التالي لها دون أن يبقى أثر من صفاتها؛ وذلك في حالة الإدغام بغنَّة.

جـ. التأثير الناقص، حيث تدغم جزئيًّا في الحرف التالي لها مع بقاء صفة الغنَّة، وذلك في حالات الإخفاء والإقلاب والإدغام بغنَّة.

● إن ما ذكره علماء الأصوات في العصر الحديث، قد سبقهم إليه علماء التجويد، ولعل الفرق بينهما يكمن في صياغة العبارة واستخدام المصطلحات.

● إن ما وصفه علماء التجويد في كتبهم لشرح قواعد التجويد، ما هو إلا دراسات صوتية ولكنها مقتصرة على الأداء القرآني فحسب، وما هذه الأحكام إلا لتسهيل النطق، والتناسب بين الأصوات.

فهرس المصادر والمراجع

- ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب: ط٣، ج١٣ (دار صادر: بيروت: ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م).
- أحمد، راغب أحمد، فونولوجيا القرآن دراسة لأحكام علم التجويد في ضوء علم الأصوات الحديثة" رسالة لنيل درجة الماجستير، إشراف أ.د الزغبي، محمد الدسوقي: (جامعة عين شمس: القاهرة: د.ت).
- الأندرابي، أحمد بن أبي عمرو، الإيضاح في القراءات، تحقيق: غني، منى عدنان.
- د. أنيس، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، أشرف على الطبع: عطية، حسن علي، ط٢.
- البخاري، عبدالله بن محمد، صحيح البخاري، ط١: (دمشق: بيروت: دار الفكر: ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م).
- التوني، مصطفى زكي، النون في اللغة العربية دراسة لغوية في ضوء القرآن الكريم، حوليات كلية الآداب: (الكويت: مجلس النشر العلمي- جامعة الكويت: الحولية السابعة عشرة: ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م).
- الجريسي، محمد مكي نصر، نهاية القول المفيد في علم التجويد، راجعه الشيخ: سعد، طه عبدالرؤوف: (مكتبة الصفا: د.م: ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م).
- ابن الجزري، محمد بن محمد، التمهيد في علم التجويد، تحقيق د. الجواب، علي حسين: (مكتبة المعارف: الرياض: ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م).

- المقدمة الجزرية، تحقيق: المطيري، محمد فلاح بعنوان "الإحكام في ضبط "المقدمة الجزرية" و"تحفة الأطفال"، ط١: (وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).
- النشر في القراءات العشر، أشرف على تصحيحه: الصباغ، علي محمد، (د.م: د. ت).
- الحصري، محمود خليل، أحكام قراءة القرآن، ضبطه: منيار، محمد طلحة، ط٤: (المكتبة المكية: د.م: ١٩٩٩م).
- د. الحمد، غانم قدروي، أبحاث في علم التجويد: (عمان، دار عمار: ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م).
- الحمد، غانم قدوري، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: (مطبعة الخلود: بغداد: ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م).
- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ط٢: (عمان: دار عمار:١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م).
- الحمد، غانم قدوري، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد الخامس، جماد الآخر ١٤٢٩هـ عنوان المقال: علم التجويد قبل كتاب الرعاية وكتاب التحديد من "الكتاب الأوسط" للعماني.
- الخاقاني، هدى المجيد في شرح قصيدتي الخاقاني والسخاوي في التجويد مع رسالة القول السديد في بيان حكم التجويد للشيخ الحسيني، راجعه وقدم له: شرف، جمال محمد: (دار الصحابة: طنطا: د.ت).
- الداني، عثمان بن سعيد، التحديد في الإتقان والتجويد، دراسة وتحقيق: د. الحمد، غانم قدوري: (دار عمار: عمان: ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م).

- د. ربيع، أحمد علي محمود، المدخل إلى علم الأصوات العربية وفن التجويد: (مكتبة الرشد: الرياض: ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م).
- السعيدي، علي بن جعفر، التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي، تحقيق: الحمد، غانم قدوري، مجلة المجمع العلمي: (العراق: المجمع العلمي العراقي: ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).
- سيبويه، عثمان بن قنبر، الكتاب: تحقيق: هارون، عبدالسلام، ج٤: (بيروت: دار الجبل: د. ت).
- د. الضالع، محمد صالح، التجويد القرآني دراسة صوتية فيزيائية، (دار غريب للطباعة والنشر: القاهرة: ٢٠٠٢م).
- ابن الطحان، عبدالعزيز بن علي، مرشد القارئ إلى تدقيق معالم المقارئ، تحقيق: الضامن، حاتم صالح: (مكتبة التابعين: القاهرة: ٢٠٠٧م).
- د. علام، عبدالعزيز أحمد، عن علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة: (د.ن: د.م: ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م).
- العماني، الحسن بن علي، الكتاب الأوسط في علم القراءات، تحقيق: حسن، عزة، ط١: (دمشق: دار الفكر: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م).
- الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط وبهامشه شروح وتعليقات، ط٣: (المطبعة الأميرية: د. م: ١٣٠١هـ).
- القرطبي، عبدالوهاب بن محمد، الموضح في التجويد، تحقيق: الحمد، غانم قدوري، ط١: (عمان: دار عمار: ١٤٢١هـ -٢٠٠٠م).
- القيسي، مكي بن أبي طالب، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق التلاوة، تحقيق د. فرحات، أحمد حسن، ط٣: (دار عمارة: عمان: ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م).

- ابن مجاهد، أبوبكر أحمد بن موسى، السبعة في القراءات تحقيق د. ضيف، شوقي، ط٣: (دار المعارف: القاهرة: د.ت).
- المرادي، حسن بن قاسم، شرح الواضحة في تجويد الفاتحة، تطريز: العصيمي، صالح بن عبدالله، النسخة الإلكترونية الأولى.
- المفيد في شرح عمدة المجيد في النظم والتجويد، تحقيق: رفاعي، جمال: (مكتبة أولاد الشيخ للتراث: د.ن: د.ت).
- المرصفي، عبدالفتاح السيد، هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، ط٢، ج١: (مكتبة طيبة، المدينة المنورة: د.ن).
- المرعشي، محمد بن أبي بكر، جهد المقل، تحقيق د. الحمد، غانم قدوري، ط٢: (دار عمار: عمان: ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م).
- الدر المرصوف في وصف مخارج الحروف (تأليف: أبي المعالي بن أبي الفرج فخرالدين الموصلي المتوفي سنة ٦٢١هـ: (مجلة الحكمة – جمادي الثانية ١٤٢٣هـ)، تحقيق: الحمد، غانم قدوري.
- د. معيد، محمد، الملخص المفيد في علم التجويد، ط ٨: (دار السلام: د. م: ٢٠٠٣).
- النيسابوري، مسلم بن الحجاج: (الرياض: بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع: ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م).
- الهمذاني، الحسن بن أحمد، التمهيد في معرفة التجويد، تحقيق: الحمد، غانم قدوري، ط١: (عمان: دار عمار: ١٤٢٠هـ–٢٠٠٠م).

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	٢٣٦١
٢-	Abstract	٢٣٦٣
٣-	مقدمة	٢٣٦٥
٤-	التَّمهيد : التجويد	٢٣٧٣
٥-	المبحث الأوَّل: الجانب الصَّوتي في علم التَّجويد	٢٣٨١
٦-	المبحث الثَّاني: الغنَّة وبعض أحكامها دراسة صوتيَّة	٢٣٩٧
٧-	الإظهار	٢٤٠٣
٨-	الإقلاب	٢٤١١
٩-	الإخفاء	٢٤١٤
١٠-	الخاتمة	٢٤٢١
١١-	فهرس المصادر والمراجع	٢٤٢٣
١٢-	فهرس الموضوعات	٢٤٢٧